سرديات شعرية (نيرونا)
سرديات روائية (نثيرات)
نضال سواس

نيرونا/نثيرات

المؤلفة : نضال سواس

لوحة الغلاف : الفنانة التشكيلية السورية نضال السواس

ISBN : 978-9933-674-47-2

الطبعة الأولى /2023/

جميع الحقوق محفوظة

دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيـــع

سورية-دمشق-الحلبوني-بناء اتحاد الناشرين

سورية -السويداء -مقابل المشفى الوطني

الإمارات العربية المتحدة: 00971526917359

تلفاكس: 0096316211260

kiwan.publishing@gmail.com

kiwan_house@yahoo.com

www.facebook.com/kiwanhouse

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي وسيلة من الوسائل سواء التصويرية أو الالكترونية أو الميكانيكية، بما في ذلك النسخ الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو سواها وحفظ المعلومات واسترجاعها دون إذن خطي من المؤلف.

All rights reseved. No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted by any means : electronic, mechanical photocopying, recording or otherwise, without the prior permission, in writing, of the Translator.

سرديات شعرية (نيرونا)

سرديات روائية (نثيرات)

نضال سواس

القسم الأول

نيرونا

مقدمة..

قراءة في شاعرية نصوص /نيرونا/ وسرديات نثيرات/

للكاتبة السورية نضال سواس..

بقلم: عبدالوهاب بيراني* /سوريا/

للكتابة عن فضاءات الأدب الاغترابي الجديد لابد من استحضار صور، وقراءات الأدب المهجري الكلاسيكي، وبين القراءة الحالية وقراءات الأدب المهجري خصائص وسمات تشاركية، فروح الأديب وهواجسه وشوقه، وحنينه، ومقارباته، وكل تلك "التحولات والإشارات" مازالت حية نابضة في أغلب النصوص الأدبية الاغترابية.

والكتاب الحالي الذي نحن بصدده "نيرونا/نثيرات" للفنانة التشكيلية والكاتبة السورية المغتربة نضال سواس، الذي يضم نصوصاً شعرية وسرديات نثرية كتبتها في مرحلة هامة من حياتها الصاخبة فنياً وأدبياً خلال إقامتها في الشمال الأوروبي بعيدة عن موطنها الأم سوريا، وتحديداً حلب المدينة التي لونت وشكلت مفرداتها جسد لوحاتها ونصوصها الأدبية على السواء..

كتاب يمنحنا الكثير من الأفكار والسمات والمواضيع الغنية والنثرية بمدلولاتها واستدلالاتها عن زمن جميل مضى، وعن أمكنة باقية في الوجدان، والذاكرة.

يسعى الشعر في كل مرة أن يتخذ من شرفته التي يطل بها إلى العالم أن يحول تلك الشرفة إلى عالم كامل بكل بحاره، ومحيطاته، وبكل غاباته وجباله و سهوله وصحاريه، بكل جغرافيته وتاريخه، أو يعمل في اتجاه آخر على النزول إلى القاع الذي يقيم فيه العالم، لكنه لا يستطيع أن يهوي أكثر، فهو ينزل إلى مكان يتيح الممكن لرواده الصعود إليه، يأخذهم على ظهره، ويحلّق بهم بعيدًا، العالم الذي تركب أحصنته الحروب والأحزان، وتقف في وجه قاربه دوامات من العنف، لا يختلط به الشعر، إنه يسكن في النفس التي تحمل بذرة السلام، ويوصف الطريق إلى الشعر بفترة الحرب القصيرة إلى ذاتك، تلك التي تجلب لك المعرفة بما تصنعه الأشياء من حولك، من أجلك ومن أجلها. إن ما يتبدى عليه الشعر من هيئة، لهو طريقة جيدة للفهم الأكثر عن الغامض، بحيث يصبح عليك التساؤل، هل مسافة القرب من الشعر، هي نفسها مسافة القرب من الإنسانية؟.

يقول ريلكه: "لا تكتب الشعر إلا عندما تشعر أنك ستموت إذا لم تفعل" هنا يتم التعبير عن وجودية وحيوية الشعر، في محاولة خالدة لضخ النسغ الأحيائي في كيانه وكينونته، رافعاً إيّاه إلى مرتبة قدرة ممارسة الحياة، وأن يجعله صعب المنال، ونصاً مقدساً لا يمكن تطويعه من كل من هب ودب، فهو ليس مهنة الضعفاء، وإنما هو سر الإغواء لمن يمتلك أسرار غواية اللغة، فينثر الحرف فلسفة، وتراكيباً مدهشة عالية، مكنونة، ومكتنفة الأسرار في عمق اللغة، فينثر مجدداً لغته في فسحة الفكر، قريباً من نقاء القلوب المفعمة بالحياة، المترعة بمحاولات الخلود.

عاشت الشاعرة نضال سواس على تخوم الحياة والموت، وكادت مناجل الموت أن تجرها نحو عتمة أزلية، وهي من عاشت تجربة مؤلمة واختبرت العتمة فترة من عمرها، عاشت فترة طفولتها، وصباها بمدينتها حلب الشهباء، التي شكلت ذاكرتها ولونتها بألوان الطيف،

لكن ألوانها لم تكن قادرة على إزاحة السواد، فكان الجرح، والشرخ والألم والغربة تفتح مسارات من البوح نحو شوارعها وأزقتها وساحاتها وقلعتها الشامخة، الطافحة بالضوء، والمزدحمة بالعصافير :

"شهباء يا ألقي أنت
دونك الروح أنت
أأفديك؟
دنان ذكراك تسكرني
فتثمل بها عيني دمعاً
نجواي يا حلب
أغدنا بك مر
أم هو الشوق أمر؟"

هي تعرف الطريق نحو الشعر، رغم وعورته، ورغم كثرة مدعيه، تمتلك قدرة عالية في ارتقاء سور قلعة الأدب، فترتقي سلالم الضوء وتصعد نحو سقف قلعة الفكر، تصل إلى ذات الإنسان من خلال التحليق بأجنحة الخيال ترسم المبنى الشعري للقصيدة، وتغرق قارئها في دهشة المعنى، مفرداتها حمائم رشيقة، وكأنها تبحث عن أعشاشها داخلنا. شاعرة طافحة بالشغف، مترعة بهاجس أبدي ترافق أسراب عصافيرها ومفرداتها نحو ساحات المدينة، تظلل الأمكنة بعتمة سابغة، تثملها.

نضال سواس شاعرة خجولة تتخفى خلف نوافذ قصيدتها، والريح تحرك ستائر النوافذ متسائلة عن نوازع المعنى في أركان القصيدة، ونصوصها تنوء تحت حمل من الأسئلة، وهي تحاول اللحاق بالعالم الجديد..

"هو العشاء ماذا أكلتم؟
أهي أجساد قتلانا ما التهمتم؟
والخمر أحلوا كانا؟
أم المذاق مر عليكم؟
دم قتلانا؟ كيف كانا؟
بحق إيفا أحنت يديها؟
خضاب التراب طري لزوج
به دمانا بدفء تموج
سلمان يا أنت وأي كنز؟
تجود بكرم صفيق حقود
كيف بالله لك أن تسود"

بتلك السلبية تشبك روحها وفكرها، تطرح أسئلة توكيدية، بكل وجع لتؤكد من جديد تاريخاً من الخطايا، وتاريخاً من الغدر، وتستغرب استمرار كل ذلك في بلاد لا تقيم وزناً لحياة العصافير، بلاد طينها لزج، مخضل بالدم، فكل التضحيات، وكل ذاك السجل من القهر لم تستطع إلا أن يستمر النبيذ مرّاً، وتستمر اللقمة غصة كبيرة، فمن منكم أكل لحم أخيه ميتاً، ومن منكم قتل الأنبياء؟..

" أن اهرعي إلي بالقبل ..
هاهنا ألون لك حبات المطر
شفافة بريقها يسامرك حتى السحر...
كم أمها اليمام بهديله مبتهلا
والنوارس لو أنك تعرف
فلة بيضاء على أكتافها.. "

من هطول الشعر تنساب جداول صغيرة، تتجمع في برك فضية، نوارس بيضاء افترشت مسافات المطر، تطلب من ماض جميل، من ربيع مضى مسرعاً في متاهات الغياب قبلة شهية بطعم الارتواء، قبلة شفافة تثمل روحها حتي ساعة السحر حيث الحمام هديله ابتهالات الوجد، تمدح المطر، تحمل صفاته، تدلل الماء، تسأل المطر عن حزنه، عن غضبه، وفيما يفيض، وأي قصاص تريده من الأرض والبلاد والعباد؟

هذه الأسئلة المتولدة ضمن النص والسياق السردي تهدف خلق ذات شاعرية، تحاور العالم بلغة حوارية، فهي لا تنتظر الأجوبة، فالماء، والمطر، والنوارس والقوارب لا تنتظر، ومن هنا فإن الخطاب الشعري لدى نضال سواس يعد بمثابة نقد أو انتقاد للحياة العامة وتمجيداً للطبيعة، لانبثاق الضوء، والنص بزخم مفرداته وتراكيبه الرومانسية ما هو إلا استراحة في ظلال المعنى، إذ تبتعد عن المألوف والقوالب الجامدة أو الجاهزة، من خلال وعي العبور من الفكر إلى اللاوعي وإلى ابتكارات وجنوح اللغة أو جنونها...

وتستمر في حالة العبور عبر حواجز الشعر على دربه الوعر، تضيئه بإشراقاتها الصوفية، تهمس بأناقة ساحرة، توقد مصابيحها كل عتمة، تحيل الليل فجراً، هكذا ترسم صوراً متداخلة بين الضوء والظل، وهي تمارس الانزياح بين سيدة جميلة مازالت مغمضة العينين تحلم بالمسرات، وصباح أزرق بهي كأنه الحلم يدعوها لمكان قصي وبعيد، ربما هو ركن النص ومكانه الأثير، حيث تعمل الشاعرية على بنائه في خيالها المشبوب بعشق أمكنة بعيدة عاشت فيها طفولتها وصباها، ربما كان حضن بيتها، أو هو الطريق إلى مدرستها.. حينما كانت تصحو مع صحوة مصابيح الليل في صباحات شفيفة لم تعد تتكرر..

"أعشق المصابيح... فوانيس الليل أحب حتى صحوتها الكسولة في الصباحات الشقراء، مغمضة عينيها تنتصب كما الحلم أمام الروح، هامسة لي :هاهنا أنا .. إغفاءة إلى حين

أنيقة كالصمت الجميل، ماكرة السحر تعلم ماتفعل بي ما أن تفتح عينيها بوهج نورينادي"

هذا الكتاب مقسَّم إلى جزءيْن :" نيرونا"، و" نثيرات"

نصوص كل جزء تمتلك ذات الروح الوثابة، إلا أنها في شاعرية "نيرونا" تروي الحياة بموسيقا ومقامات مختلفة، وتعزف الشاعرة في" نثيراتها" عوالم سيكولوجية، ذاتية، في متاهة الزمن، وتكشف الستار عن كذبة الحضارة القادمة من الآخر، تعمل على لملمة الجمال، وتصنع فكراً من تجليات تقترب من الصوفية في كثير من أركانها، فمن اكتشافها لقدرة العدم من خلال اكتمال رؤيتها للحياة، فالغباشة في الرؤية لا تعني أن الكون معتم، فهي ترى عمق الأشياء، ترى النور منبثقاً من قلب العتمة.. فتمتاز كتاباتها بعمق الرؤية، وصفاء العبارة، إذ هي تعلم دوماً ما نجهل وجوده وراء الأكمة..

"كم غريب أن يكون للعدم شكل قوام عجيب يعيد من جديد إلى لحظة العمى الأولى

أن تشعر بثقل العدمية ..

تستغرب لكنك تفهم أن لمعنى كلمة كفى لايمكن لأي قاموس أن يفسره فعلاً كما ينبغي كما أنت تشعر بها

الطاقة القدرة لكل شيء نسبيته

بعض النسبية يكون بغير حسبان... لا تستطيع أن تقارن أن تقيس... أن تزن... أن تفسر... أن تحدد"

هذا الإحساس الرائي نعثر عليه في تفاصيل نصوص الكتاب وعتبات النصوص، فنقرأ الدلالات الشعرية ولغة الخطاب الشعري الصوفي كرسائل مشرقة لا تنطق إلا عن الهوى.

"ما بين الشك واليقين

تتوالى الشارات البيضاء والسوداء على سلم موسيقي واحد..

أحدهما للبيضاء والثاني للسوداء

لك أن تختار!

والسلم الموسيقي واحد، لكنه دائري ..يدور بأكبر حلقة تحيط خصر الكون ..

سمهما كما تشاء لو أحببت

جواب وقرار.. احتمله كموسيقا تحملك كذرة رملية تدور معها فوق شواطئ العالم... وبلا انتماء

لا تسأل أكثر ..

كغمزة في العين اليمنى حينا

وفي العين اليسرى حينا

شك أم يقين؟؟

تمتلك الشاعرة أدواتها البلاغية في التعبير، وحرية انتقاء الكلمة، إذ تمنح قصائدها ألوانًا مميّزة، تشير إلى إمكانية الخروج عن القولبة المعدة مسبقاً، ففي هذه النصوص الشعرية من الكتاب نحن إزاء شاعرة متجدّدة وإنسانة ملتزمة بالموقف النبيل، وببوح صادق مؤثر، تحث القارئ على عدم عزل الذات عن الأحداث المحيطة، وتشجّعه على معاركة الفكر، وتثوير الجدل في سبيل منح المتلقي آمال نقية من أجل الخير والحق والمحبة.

نعم هي انبعاث، والولادة تعبر عن ديمومة وجوهر الحياة، والشعر ولادة من رحم الحياة ومن رحم اللغة مرتبطة بحبل المعنى والدلالة، أسلوب ينبض في وعي فتولد القصيدة مسكناً للشعر، وتعبر عن حياة جديدة وحالات وجودية تعانيها الشاعرة من وجع وقلق وغياب

عن الحالة، وهروب نحو مآلات وتخوم أكثر دفئاً، وأماناً عبر جسر الشعر، وتمنح الكلمة دلالات الولادة والرغبة لتعبر عن الرغبة والولادة، وأن تصنع لنفسها مكاناً تحت شمس الله في برية تتسع لكل الاحتمالات، والرغبات.

"ارقصْ مع الكونِ... ليسنَ لك سواه
أختزنهم حباً بدمي، ترقص بهم أوردتي، تحضنهم دفئاً
وهوى، أمد يدي إليهم احتضاناً، أربت على آمالهم ،
وأرتشف آلامهم، يتكاثف وجودهم بداخلي تمرداً لزجاً"
يتمدد بقسوة ليسد منافذ الروح، أصرخ ألماً دون صوت"

ترقص مثل"مولوي" وتنتشي بخمرة العبارة، ترمم بها روحاً كابدت مشقات الحياة، تقف مع العدالة ضد الظلم، ترفض العنف والطغيان، تبحث عن احتياجاتها الفطرية في استعارة لعناصر الطبيعة، فتمضي مع البياض نحو مروج العاطفة المشبوبة، ومن عتمة الخذلان والخيبات إلى ميدان، وباحة للرقص.

" عذبة الروح كاللوتس
إن مال بهمسه لجمانِ
الجيبسوفيل كان جنتي
رفيقي بكل زماني
والفل إن تدري ما أجمل
لو أنك زرتها صباحاتي
والليلك يا عطره..
في العنق جال وما استحى
مراوداً لقبلتي

هات هنا، لا بل هنا
والزنبق يعانق السما
والسوسن ؟ لو تدرك
كم أخطؤوا باسمي وقالوا
ها ها هنا السوسنة"

هذا العشب الممتد، تلك الخضرة التي ترفل بالعطاء، بأزاهيرها وعناقاتها، ولثم الفراشات الهائمة الثملة بنبيذ الأفق القصير، العمر قصير، فالفراشة لن تدوم، والزهر سيذبل، الشاعرة هنا تبحث عن عمق معنى العناق، والارتقاء نحو السماء، هنا تكمن حالة خلود اللحظة، وهنا نكتشف نكهة الخطاب الشعري لدى نضال سواس، بمؤثراتها وبواعثها وصدق وجدانها مع الطبيعة التي هي القصيدة الأم والشاعرة الأم..

هنا تتجلى قوة خطابها الرقيق عبر التوظيف الدقيق، وتتجلى روح فنانة تسكن شاعرية متدفقة فترسم لنا صوراً شعرية مذهلة، فتصور لنا الأحلام الهائمة، وغناء موج البحر، وإيقاع الرقص، وهمس العشب، وصمت الليل الأثير الملهم، حيث تراتيل الفضاء وأنوار النجوم البعيدة.. هناك حيث تراب عطش وترنيمة هطول مطري عذب يروي نهم القصيدة، والإنسان..

الصور الشعرية مكثفة وللغاية ودلالاتها موظفة ببراعة مع الحفاظ والتركيز على وحدة الموضوع، والخيال الشعري خصب وبعيد وممتد رغم قصر النفس الشعري.

فقدان الوطن والحنين إليه كان له الأثر الواضح هذه اللحظة استمدت مقوماتها من التجربة، من التمسك بالقناعات ورفض استغلال الجانب العاطفي الذي يكبح انطلاقة الإنسان ويقيد نهوضه من الدمار والموت والاحتلال.. فالرؤية الشعورية بدأت بالسقوط "سقط الكلام".

"قد أزهر الجليد هل تعلم؟
أزهر الجليد انتظارا
وافتر ثغر الشجر قبلات من زهر اللوز
ما أروعه!
حمقاء أنا؟ ليكن!!.
أحتاج قبلة من زهر.."

هي بداية الجرح الذي انبثق من قلب الجليد برعماً ندياً، اقتربت منه شفاه حارة، فتعلن شجرة اللوز عن زهرها، ذاك الإرث الثقيل الذي حملته سراً طيلة شتاء قاس كامل، هو تاريخ ميلاد انطلق منه النص، بتداعياته، عبثيته، شجرة شعرية شاهقة تأبى انكسار أغصانها أمام هبوب عاصفة عمياء، لتعبر بذاته عن مبعث نفسي لدى الشاعرة، في حالة ربط وتماسك أجزاء النص وترابطه مع الحالة الداخلية النفسية.

كما أن المتأمل في نصوص المجموعة يلاحظ أن الكتابة الشعرية عند الشاعرة هي فعل وجود، فهي حين تهدهد حزنها تنتظر من القصيدة أن ترق لحلها وترفع عنها نزيف السنين العالق في وجدانها الحزين، تتماهى بين لوني الأرض المعشوشبة خضرة، وفسحة السماء المتعالية بزرقتها، ويظهر ذلك من خلال قولها:

"وحيدة ما بين لونين أخضر وأزرق
أرض سماء وماء لكن السماء كانت تمطر هناك بعيداًعني
كانت زرقاء وتمطر على الأزرق على البحيرة
أو ربما كانت رمادية
وتمطر على الرمادي من سطح الماء
ربما لا أعلم أكان رمادياً ما يراه قلبي أزرقَ ؟
حين كنت حيث كنت أنا أسير لا أنت فأنت هناك"

لتعبر بنا الشاعرة إلى عمق المعنى، وهي تسكب نبيذ قصائدها بوعي شعوري ترتكب جريمة الرقص على وتر الحزن، عندما يتعلق الشعر بحزن الشاعر وشجن الحياة، ورماديتها التي تحاول من حين لآخر أن ترتشف الأمل المسكون في مفترق طرق، ربما يقود خطواتها نحو الوطن ،ذاك الوطن الذي فقد ألوانه وبهجته في مهب عواصف وأمواج من كوابيس قاتمة، ثقيلة تلطم أحلامه، هذه الحالة هي من حركت النسغ الشعري لتبدد كابوس الحرب، لترسل تراتيلها الحزينة في شكل قبسات من الحب تحاول من خلالها الانفلات من رهبة الواقع المرير والزمن الصعب..

هكذا تمنح لنصوصها التشكيل الخارجي، من ألق وفتنة وغواية، تمتزج في حالة التشكيل الداخلي من إيحاء وهتك لحجاب العتمة، فتشكل الصور البلاغية، والشعرية في رفاهية اللغة، وقدرتها علي صياغة فكرها، فترتدي أجساد نصوصها أثواباً تميزها عن خطابات الشعر، وتكسي روحها بعذوبة البوح، وتعلن صوتاً شعرياً يمتلك التميز وخصوصية، تخول الشاعرة بالحصول على بصمة خاصة في سجلات الشعر، شاعرة مساهمة في بناء أدب اغترابي جيد، له روحه، ودمعه، وعويله البعيد.. البعيد..

*** عبدالوهاب بيراني :كاتب وناقد سوري**

الضفيرة

وكأنني اخترت أن أفكك الضفيرة
لأسحب منها أضلعي..
تلك.. الشؤون الصغيرة
وأفرد منها الظلال
فتلسعني شمسها كثيراً
وكأنه سيان إن...تواريت..
أو همست همساً مريراً
لن أزيد عن كوني
من شؤونهم الصغيرة
تلك الحصى فتتوها
فأمست.. رمالاً..
قارب الهاوية شفيراً
تلك ليست همومهم
فمازلت من شؤونهم...الصغيرة

إن تلثم

إن تلثُم ، ستثملْ أما دريتَ عن الهوى
صنو لنا لايرحم؟
جِدتَ بجودٍ على الجيدِ بثغر فأحطته
طوقاً من لثمِ الشفاهِ يرسمُ
ماغركَ شبقُ الهوى في أنك
كنتَ دعيا بدعاكَ لا تصدق
أبدعتَ في همسِ اللمى للواحظ
قد غرها أنها بلجين الجبين سحرُهُ
روعاً قد أضنى الحشا مخافة
بأنك يوماً قد تكون له هاجر
هي لثمةٌ فأرجئ العتبَ لحينهِ
قد كدتُ في هواكِ والبعد أأثمُ
ردَّ الهوى تيماً وجدْ بحلاكَ يا عاذلي
أصفحاً تبغي.. أم صفا بعد جفاء تقولها؟

وقد أتلف الدمع في الأسى الصحائفَ

يا لؤلؤ السنين وعقدها

تلك العقود عهودها

ماعدت أدري أيانا كان لها حافظ

من قال إن المحارَ لا يحارُ؟

أيعيد الضمَ شوقاً للؤلؤٍ

طابَ له الغفوَ بغير جفنه؟

تلك الحروف إن تخالها حبالا

دعها لديك سبحة ترجو بها ابتهالا

يا عاشقاً

يا عاشقاً.. مدلهاً
إياك لها والتذللا
طبع الغواني.. مشاكس
وإن ناعماً مابدا بها
يرمين لك بطعمهن... فيسيل لعابك تودا
بطعمهن راميات... وكذا الشباك تمددنها
معسولهن قوارص لك... لو كنت تعلما
في الفتنة سهامهن... كم تصبن المقتلا
والكاحلات عيونهن.. ذا سحر الليالي
المظلمة
كحلاء... يا شوق الغوى
ما أنت لسرها مدرك
قد فاتك أنك.. ندها
والناعسات بطرفهن... تومئن بالنجوى
وما أخالك يا أنت إلا لها...
والغامزات... أرجوحة كنت لهن المبسما

والكاعبات الناهدات...

خلبن اللب يا صاحبي

فأمسيت بذكرهن هائما

تناثرن وريقات ورد ها هنا

لا عطر ولا شذى للروح هامسا

ما الحب إلا لوردة...قد عانق الأريج سحرها

تضافرت شفاهها بضمة

وباح العطر للثمها

والشوك... حراسها

وأسوارها..

وفي النقاء بياضها والحمرة حياؤها

امض..دعك للوريقات مداعبا

فما أخالك.. أنت لها

وتسأل ؟

وتسأل... أكان حقاً سؤالا؟
إليك ما لست تبغي
هو البعض مني محال
ماتود أن تردَ هو عذري
ليس لك بي من مآل
وهواك ليس يكيفيني ارتشافا
ما العشق عندي سؤال أو نهال
هو القلب ماكان مني
لست أملكه بطيبي
وإن غاب عني فيه الوصال
تحار كيف لك يوماً أُمسي
ماذنبك إن كنتُ مازلتُ بأمسي
كان فيه كل همسي وإن بت فيه يوماً برمسي
لكني ما زلت هناك
تقول مات يكفيه ترثي

قد كذبت وما أطلت

بعض الكل مازال حياً

هو كل وليس بعض بل كل بعضي

ماشكوت العمر يوماً بل فهمت ما كان يبغي

فانطلقت كاليمام أؤوب يوماً وأتوب يومي

قد كنا كلانا وما كللنا

بل إِنّا إلنا بحسم قرار

ليس بأمره ولا بأمري

ليس عنه ما أقول

فكم لكذبي أن يطول

قد أبدل الاسم باسم

إلا أن الشاهدة تقول

هاك اسمه لن يزول

فالرمس رمس ما أفولُ

باق ماشاء بأرض

لست إياها أطول

في العاشرة

في العاشرة
قد قالها في العاشرة
أحقا ما سمعته قد قالها
يطربني وعده ومن سواي الوالهة
أشدو إليه زمنا أنا الآن إليه راحلة
أكونها تلك التي سهدت به بعين حالمة
ما كنت أعرف أنه يتوق بإياي الخاتمة
قد صدح بها لا بل والله قد قالها
كوني معي بالعاشرة أنت بحالي عالمة
الروح أنتِ وودت لو كنتِ معي بداية
ما كنت زمني عشته بطريقتي تلك الصادمة
أعيدها ترتيلته...كوني معي في العاشرة
أنا بطريقي أتعثر قد كنت بليلي طيفاً أساهره
أركض إليه أحلق أهو القطار مغادرا
أحقاً كانت بعيداً تبعد تلك الصافرة
أعود طفلة تبكي جاثية... ألوّح بيدي للحافلة

لا تأبه بخبوتي بل حتى بي ما حافلة
أعدو وأعدو علي بك قد ألحق
ما باله حتى حذائي كعبه قد كسر
أهي الحياة تعابثني والورق طار بدفاتري وانتثر
قد قالها... في العاشرة كوني معي
أرمي وراء كل شيء معطفي مظلتي وحقيبتي
إليه أهرع هو إياي..ينتظر
ليت الثواني تمهل ليت اللهاث يصبر
وأراه هناك جالساً... في المقعد
يرصد حظاً بفنجانه يحتسي بعض الخبر
ما بالك أنا خلفك الآن أهمس أني هنا
وأحضن العنق ويغفو ثغري على صدغه
واللحية والجفن كم عشقته... أنا هنا
ويبوح بالشوق عطره فآتيه به
هو لي... الآن بعطره وشوقه لكنني
ما زلت كطفلة أرتبك بذي الخفر
وأسدل الرمش على دمعة... كم متعب
إليك بالروح... كان ذاك السفر
بالعاشرة.. قد كنتها.. أأنتِ معي
أكان معي... أم ذاك حلماً كان لا يغتفر
في ذات يوم... في ذات لهفة... في ذات عشق
كانت فيه الساعة العاشرة إلا أنت

أتعيدها؟

أتعيدها؟؟

ما أغربك!

هي قبلتي.... أبالعناق تعيدها؟

أأغلفتها همساً وشوقاً وشحتها؟

عذب المنى.... بالله عنك هاتها

أتعيدها؟

شغف الهوى بك

تاه الكرى واللحظ ما رام إلاك

وكل من سواك ودعا

أرح الفؤاد والفؤاد خاطري

ما همني البعد إن كنت ذا الرجا

أهديك قبلتي وأنت غائبي

وبالرموز أناديك أن تهرعا

مالي أراك قد غبت؟ أتخافني؟

هي قبلة بل أضمومة أحرفي

ما كان لشفاهي بك أن تجمعا
غزل عناقه خطوط ونقاطه
سفر الحواشي في صدور من تكدرا
وا لهفتي على شراع في الهوا!
حلم يلوح أما للأوان أن يسمعا؟

لا تختفِ

لا تختفِ

لاتختفِ.... كم بت أخشى الاختفاء

أخشى سراديبا أمضي بها

وألهث... وأبحث

عمراً إليك أن ألبث

لا تختف... أخالك سراً من نقاء

بثغرة الروح تكون أنت الاصطفاء

ماذا تريد؟

همساً إن شئت أو غضبا

اصرخها قلها لو حتى عتباً

فماعاد يعنيني الجفاء

ماذا تريد؟

أن أنتظر أن أحتمل؟ وإليك أنت أبتهل؟

أن دمعاً أكون أو رجاء؟

تلك شؤوني أعرفها

متى وكيف أطلبها...

لكني قطعاً لا أعرف إلا الكبرياء

أأقولها؟

هزل أنت لا تعلم

أن لصمتي كبوة لو تدركُ!

اخشاني يوماً أبلغها

أنا التي سترحل

وعنك أنأى وأبعد

لكني بقلبي أقولها

لو أنه.. لو أنه... لا يجيد الاختفاء!

لا تختف...لا تختفِ

وانطلقنا

وانطلقنا
فاقتطفنا لليلنا هذا بعض همسٍ
وصباحاتٍ ما أردناها أن تلوح
ثريات بوح وشوق روح
للحديث... ومنه كان
طيبُ ثغر... إذ يبوح
والبعضُ حزنُ من فم ورد إن ينوح
وتسامرنا وتقاربنا
وابتعدنا وحلمنا وضحكنا وبكينا
مااقترفنا بل غرفنا
من سؤال وجواب
لكل عذب وعذاب
وتساءلنا... وترامينا كل في أمسٍ
وحملنا العمر ألف شكوى
لأنين يجيش بقلبه ذكرى

أفهم وأصغي
وأحار كيف..
لو أني
ورب.. تمني
لعلي بلحظة أهبه سلوى
وهذا بقلبي كبعض رجوى
والحلم جال وما استحال
يحار فينا.. أن كيف
لصبح لليل أمسِ
غداة... نفيق يسير فينا
ليمسينا.. بحلو لقيا يراضينا

صفا

صفا يا أنت يا لقلب لصفاه قد هفا
لغيره والله لا ما بحتها فكفاك يا أنت كفى
أتجوبني بالروح أنت يالوعة منها ما اكتفى
والسؤدد واه له في قلبي ما بعد غفا
ويدرك يقيناً أن فؤادي إياه ماللشوق جفا
هواه ما كنت يوماً لأغفله لكني له آنفة
وإني بعزة آلمتها آلم بقلبي دمي أنا نازفة
أشوقا يميد لي وحبه كلمات لي راجفة
أتراه حقا يريدني أتناساها تلك السالفة
ما باله تخاله بصلف يقيد جواه يسكبه
قد فاض بي إليه ما ناطقة ببنت شفة
وعذره يذكره ماكان بالأسباب لأغفره
وذنبه ما بعد قد أدركه لا بل حاضنه
أما سموت به إلى ذي العلو فما كان له
إلا دانيا لمن هما بالدنو هو يقاربه

أما دنان خمر طيبتي قد أغفلها
يدعوني إليه أما تراه قد غدا موجفا
كلني لهمي ما توقا أنا إليه بالغادية
قد قلتها ورددتها ذا العذاب ما بأعذوبة
تنادي حبال الود لو وددتها لمددتها
عواد للهوى أهواؤك أمطارا تهمي بها
هممت وهويت وما أنا لهذاعدت بهاوية
مابالي كم أوجس والدنو أخشاه واجسة
أأتوقه وأقول صفوي وصفائي وهزيمتي
وتصرخ روحي لا تهرعي لادعاء واثبتي
كم له بالخيلاء كبوة عن تيهه لن تسكتي
وأحار كرباً من غضبتي ومنه إلي دعوتي
وأقولها ماذا أنا هل حقاً ما يوماً خلتها
تلك الشقيقة لروحه حقاً لديه أما زلتها
ما كرامتي التي تهون بل وحقك أزهو بها

أمومة

أمومة
أملتَ برأسك عني وغبت ساحباً معك الرجاء؟
تناديك عيني يا ولدي
والكف منك يلوح أن هذا وقت الاكتفاء
كم لاثمت منك شفاهي مبسماً
يبوح بالميم.. يا حرفه الأول
كم غرّد في الروح ذاك الصفاء
يا ثغره يقتاتُ الحبَّ من ثدي
والدمع جَذِلاً مع ألمي يراقصُ
الحليبَ ويمسحُ الجبين
يا لثمة الروح على صدري
يا كلّي... يا أنتَ ياكلَّ السنين
واهٍ ليدي كم حضنت رأسك تداعب الزغب
والجنح مني كان لك الاحتواء
آه يدي!! أأمدها؟

يا جذعي... ماعاد فيها إلا الخواء..

يطويك همسي... أتمتمك..

ألهج باسمك إياه والدعاء

أصم الأذن عن نصحهم

أصيح لا... لا تلوموا

مازال بخاطري هو... هو الرجاء...

أيا أدمعي غطِّ حمرة المآقي

أخشى أن يؤرقه هذا الاكتواء

أتفاهة ما أقوله؟؟!

أنا أم... أنا أم

ما زلت أؤمن بالسماء

برد وقطاري والمطر

برد وقطاري.. شوقي والمطر
فنجان قهوة.. حلمنا والسفر
ولانتظاري لهفة أقولها بلا خفر
البوح أنت تبوحه
وتقول بأنني
الفكر والروح والقدر
من بعد هذا
ماظَنك أنني
بعضني من حجر
أأتابع بعد رجوتي؟
أأكونها ..حلم أو ثغر
ترى من قلبها القمر؟
أأكون النبض والهوى
ونأي عنك هو الجوى
أأكونها ؟

قلها بربك

عذباً أكنت أم غاضباً

آثماً أو ورعاً

قلها بكل حالة

اخشاني أن أودعا

هي السكينة رحمة

بقلبي إن تودعا

فنجان قهوة

فنجان قهوة لا أكثر
ما ظنك أنك تعرفني
أهذا أريد أو الأكثر
والعطر همس قهوتها
رفيقتك كانت بل أكثر
بالروح تقبع تغازلك
جمال من غصن أخضر
أتريدني إليك قادمة
بالحيرة أخشى تطوقني
أربك أأقدم أم أدبر
وأشغل بهال قهوتك
أمر حلو أم سكر
بعطر الروح تسكبه
تهز الروض بالزهر
إليّ شذاه يغزوني

سحراً بعبق أسكر

بالمصعد أنا صاعدة

أغفل عن زر أضغطه

أأهبط منه أم أصعد

والله ماعدت أدركه

أحلوة هي قهوته

أهمس أخشى أو أسعد؟

هو فنجان قهوة لا أكثر

أربك بكلماته أراقصها

والعطر مازال يؤرقني

أخرج مرآتي أساءلها

أجفني هذا هو الأحمر

ما نومي عدت ألحظه

أيسألني إن كنت أقبل

نعم أأقولها أسايره

هو فنجان قهوة لا أكثر

لم أصحو بعد فأدركني

أحتاج فنجان قهوتك

أكثر من هذا بل أكثر

ست حروف

ستُ حروفٍ... لاأكثر
أمازلت بها... تتفكر؟...
عقدُ فراش من حولي....
أطلقه لوردك... يتبختر...
واسمك بفنجاني أداعبه
أزخرف الحرف من كرمي..
بهمس الشوق أعطره
أم تبغيه من عنبر؟
ست حروف لا أكثر
أحاججك بها.. أو أكثر
حواء أنا... لو تدركها
لفهمت... من منا الأمكر...
لا تخشَ مني... أمازحك
فخمر الليل تعرفه
حديث... الروح... لا أكثر
ست حروف... لا أكثر

فأنت القريب مني... بل أكثر
تحار... بطبعي.. تناوره
لو تدري أني بك أسكر
بالله عليك.. أتضحكني ؟
لاجن لا سحر... يسامرك
بل هي أنا وبكفي منديل أخضر
أمسح الدمع أجففه...
وأسقيك الحلو.. من السكر
وكل الحروف
أطلبها... قلادة منك
لا أكثر..
إن شئت... اهمسها... مصغيةٌ
أنا لبوحك... أتصبر
ست حروف... لغزي أنا
ومن سواي...يتجبر؟
ليست لغيري... وتدركها
يا حيرتي فيك.. أكابدها
عجل... بالله... انطقها
إن هي... أنا... لا أكثر
بلغزي إياه أسامرك
لأكون أميرة ليلتك
كل الحكايا... بل... أكثر

عشرون عاماً

عشرون عاماً
عشرون عاماً غفوتها
وجئت تغزو حاضري!
أصورتي ساءَلَتْك أمسها؟
يا لأمس ماعدت له أعرف
أتراك جئت عابثاً؟
أم تخال أنك تفتن؟
يا مَنْ شغفت بالهوى
أما زلت إياي تحاجج؟
أي سحر ترومه
هو الزمان يا عاشقي
أم أنك لم تعد له بحاسب؟
أهو المشيب من غزا
وأمال برأسك الحاضرا؟
أموعدا جئت مطالبا؟

وتخشى الصوت أن يعلنا؟

مالي أراك حائرا؟

عشرون عاماً! يا فتى

ما أجهلك!

يا من غفوت عن الهوى

وكنت أنا من أغفلك

أما تسائِل ذاتك

إن كنت ما زلت لك

أأدور بذات الفلك

عشرون عاماً قد غبتها

والآن تعود.. ما أجبنك!

احذرني

احذرني لك أقولها إنّي في وضع مضطرب
في لحظة أتوقك... وبأخرى عنك أغترب
أرومك فأسودك وكم عذباً إليّ تنجذب!
هي لعبتي ألهو بها شدٌّ وجذب لتلتهب
لاتفغر الثغر متعجباً
ما بالها حمراء عينك
أحقا أنت تنتحب؟!
بكذبك أغرةٌ تخالني؟
ماكنت يوماً يا فتى تعرفني
حواء ما بعد أدركتها؟
تحايلك وتحايرك
أما الإله من غدرها
بكتابه قدحذرك.. ؟
والمكر مسرحي وراحتي
فيه ادعائي بساحتي

أني معك أصدقك
يا ذا الفتى لو تحزر
كم بك ألهو وأسخر
لكن لو أنك تحذر
إليك ها أنا قادمة
بعطري وثغري وشعري
أحيك لك بهن الخاتمة
سأراقصك بنغمتي أو همستي
سيطير بك معانقاً شالي الذي تحبه
شالي الحريري القرمزي
هو لك مصيدتي
في ليلتي سأودعك
بنظرتي وخمرتي في ضحكتي
أنا بالغوى لك سأرصد
وبفتنتي... أنت لها عارف
ستذوي بها متذللا
لكنني ببساطة سأقولها
إياك يوماً سأذيقك
من حلو خمري ومره
ادع شفاهك تقترب
آن أوان هواها
آن له أنْ عني يغترب

استهلني ابتهالاً

استهلني ابتهالاً
استهلني ابتهالاً يتجرع دمع القصيد
فالعطر باح بي شوقاً ورذاذه حرف عتيد
وأرخني غمام دفء وأطفئ لظاك بهمس فريد
لا تترك الشجن بي حبراً فما
عني أيلول ببعيد
وإن تستزدني من حنان فما بديم غيث
عليك أضن رجاك أهميه
أهميه حنوي طيباً
لا بل أجود أكثر فأزيد.
فأطلق شدوك كما فعلت
إني لأمرك أصغي
لكن ما ظنك إن أنت بخلدي
الأثير الوحيد
فالسراب ما عادني أني به أقبل أو أريد.
جمر اللثم يخبو بالفضاء حلم لن يفيد.
اسر إلي بصوت فالزمان عات وهو للشوق يبيد
وانظر العين مني ترى النار في الجفن بألمٍ تقيد .

لعينيكَ أنت

لعينيك أنت ذاك المدى.. وإني لك لأنتظر
ماكنت أسلو وإن وجعاً أهاب بي أن أحتضر
والشوق بي كم يعبث ويهيلني رمادا ينتثر

تسامرني بورودك

تسامرني بورودك ملاعباً؟
وهل الورد إلا بعض أزهاري
فالثغر مني مبسم قرنفل وريحان
والبنفسجات رقتي
وكم جالت بألحاني
عذبة الروح كاللوتس
إن مال بهمسه لجمان
الجيبسوفيل كان جنتي
رفيقي بكل زماني
والفل إن تدري ما أجمل
لو أنك زرتها صباحاتي
والليلك يا عطره..
في العنق جال وما استحى
مراوداً لقبلتي
هات هنا لا بل هنا

وما أحيلى التدللا !
والزنبق يعانق السما
أنفتي جودي وصلاتي
والسوسن؟ لو تدرك
كم أخطؤوا باسمي وقالوا
ها ها هنا السوسنة..
ويحلو بشعري السفر
فالزهر منثور ونيلوفر
مازلتَ غراً تتكبر
تضحكني أنك ماعرفتني
أنا لهواك عطره
ولقلبك أنا السيدة
أسودك عشقاً لقلبك

قد غبت يا ورد

قد غبتُ يا ورد وما أدركتَ إن سقطت القصيدة
وقد قلتُها يوماً وما فهمتَ أنه كان الوعيدا
وما كان عطرك إلّا لبوح أرجوه لحروفي العتيدة
قد غبتُ فذا ليلك أبصرْه صمت سكون
وفجرك أُحرقُه ظمأ لأرضي البعيدة
ستذويك لوعتك فالشمس ليل والزهر شوك
وماكل ما ترويه يريك أثماره الفريدة

إنْ تغمض الجفن

إن تغمضِ الجفنَ فالثغرُ منك به حالمُ
عشقت شفاهك عينه إن تغمض سَتَلثُم
باح الهوى بشوق وجال بالعنق يسبح
والخد أبالحياء خضب؟..
لا لا تسل
بل هو توقٌ... بالرجاء أثقل بل ويطمحُ

وكم رفرف الفراش

وكم رفرفَ الفراشُ قبل أن يهويَ
يطيبُ له لثمَ النورِ لروحهِ لا يحاذرُ
ما من سماعٍ لشدوه.. لا بالطيرِ هو
بل صامتٌ برقصه
غير مفاخر
والحلمُ.. وحيداً يجوبه
فكل طار بسريه
إلا النوارُ والنوى... والنور
يخضبُ الجنحَ بلونه
ويهمس أن إلي هيا
والبنينَ إياك أن تعاتب
والجنح ما كان إلا للرحيل
فافرده.. وإلي مآبُك
والهوى
ما كان إلا لله درأً فهو المحاسب

لفافة

لفافة
أسلمتها لثغري يطوق مدلها
يا طيب سكناها توسد الشفة
ما كنت أخالها محتالة
تروم الطيب والحمرة مختلسة
لفافة تدانى رحيلها بزفرة
وجمرُها ما زال للدخان يحاورُ
أنادي إلي حلقاتها أن أقبلي
وفي الأنامل لك بنصري طوقي
بيضاء يا لثغة الصمت أزيزها
لكنها للنغم والشدو كم تمرح
خليلتي كم راقصت معي في الليل خطوتي
صدحت الروح خفة بمتعة
تبادلين الآه شوقاً بزفرة
ومع خطاي بعبث كم تتنقلي
ترنيمة ودخان وجمرة
بتول للشمع شقيقة
لليلي وسهادي ومرقدي

امض بي

امض بي لن أمنعك
مدى عينيك خاتمتي
لله انت ما أروعك !

******

ماهمني فرح إن غاب واهبه
لن يشرق شوقي وأنت غاصبه

أدركني

أدركني
فالحرف مني هوى
وارتمى على الشفة
يداعب منك الهوى

******

دعه موارباً بابك لا توصده
إن كنت أنت من أبتغي
إليك أتسلل كلانا نوصده

وإن بشوق

وإن بشوق تهْمِ عيني فلا هوىً وددتُ
وما كان لِهَمٍّ أن إليه برضاي أَهُمُ فأُهَمُّ
أَخشاني يومَ بؤسٍ به أهوي إن أهوى هواه
بل ما عادني أنني أهوى الهوى لأهواه
وأدري أني إن هممت إليه هام بي وهَمَّني
لكنني همّاءُ بعزتي للفؤاد أروض فأُهمِمُ الصبرَ لأسلاه

أمازح اللون

أمازح اللون... أراقصه.. قليلاً
يناورني.. أهامسه.. همساً جميلاً
وريشتي تداعبه.. فيسترخي عاشقي ذليلاً
يذوب به شغفي..
تهوي عليه ريشتي... لثماً وتقبيلا
أغمز الأحمر.. بشفتي.. أضاحكه
وأروي به سطح لوحتي خمرا
لتثمل به بارتشافة.. تنهل العشق جمرا
والأصفر.. بحيرة.. يرتجف
أيختبئ أو يصغي لي أمرا
أومي إليه... أسدله... أن ها هنا
في النرجس همس الهوى
يا.. دفأَهُ.. إن نفث السحرا
والأزرق... يا.. روعة الفيروز
اخضرت أطرافه وداعبت بنفسجا

وقضت منه... وطرا

هي الألوان... يا رقصها... يافتنة

تضج منها ورودها.. فتزدحم سوقها

لشدوها... تتمايل... ما بين سومبا وورومبا

يا عطرها

كم تاق للأثير أن يسبحا...

والأبيض... ياطهر...غمامة...

انسكبت وراء الأدمعا

والأسود.. بوحشية... قد كاد أن يتربعا

أزاح.. ألواني... في الساحة.. وتغلغل وتجبرا

شرس حضوره... وصاخب...

قد كاد اللون أن يفزعا

ملك هو بسلطانه أشار للقوس

فتفرد بعد أن كان قد تجمعا

لكل منها رقصة.. يشابك الخصر مخادعا

ترف أنت.. يا آسري... في العتمة همسك مولعا

ياسمرة...كم عانقت لونا وآخر.. لتبدعا

ألواني... هاك ريشتي... حلم الهوى أن

يسكب اللون بفرحة.. تنساب لها الأدمعا

مرآة

مرآة
مررت ومر الزمان مرائيا
مر ومرار وطعم علقما
أحال السواد لشعري ناصعا
ألا ليته كان للأيام ملونا
قد بات لما عهدته مغيرا
مرآي بات مراً ما أظلمه
أتخونني مرآتي ! ألا تباً لها
بي كم شادت وشدت ونشدتها
ماعدت الآن إلا أناشدها
أن إياي ارحمي عودي إلي كما
عهدتك يوماً كنته بذي صبا

كالريم.. كريم.. بفرّه..
رام الهوى.. فهوى..
أن وما آن له
قد كان للأناة هاجرا

******

عبث الهوى
عبث الهوى بلحظه
فما اشتكى إلا جريح النظرة...
شاد بذياك الجوى مستمتعا
لله در من أفاء ظله..
عاشقاً للحظ تلظى فتربعا
قد كان للزهد خليلاً مؤانساً
فبات لرفة رمش... خاشعاً
سكناه في الجفن والروح تكرما
قد ضيق العمر وهو قد أوسعا

نور لصبحي ما أعذبه
إذ جال بروحي هذا الصفا
يقول لي بأني هيامه والتوق إلي ما اكتفى
وبأن الهوى ما قبل زاره
ولاحتى له قد لفى
يرومني العشق فأسومه
عذاباً به يعصفا
إن يشدوني بكلمة
فكأن الكون سحر تلطفا

******

جدتم وما جاد البوح بمثلكم
البعد شكوانا وهمسنا الألم

******

قلبي للشوق وائد وأنت
فيه الوئيد
لي عزتي لها أهيل على القلب جمرا
والجذوة رماداً لها أحيل بل وأزيد

وإن بشوق تبثها شكواك جوى تقيد
ما قلبي إليك يهفو حنواً أو يميد

لا أرضك بت أهواها مزارا أو أريد
ولا عدت أصفو لك بل أني عنك أحيد
ولاتسألني التيم هو عندي صرح هميد
قد كندت بالغلو جهارا تغالي وتزيد
كم هادني منك في الطبع هيد
وما أدركت مني أن طبعي رهيد
كفاك تحاجج والرأي منك فنيد
إن الذي باق منك ساء كدم جسيد

شرح معاني المفردات:

كند : كفر... جحد

هاد: أفزع أخاف أزعج .

هيد : شيء مضطرب

رهيد : أنيق ..ناعم ..جميل

فنيد : معارض .

جسيد : يابس .

وإن غبتم غبنا

وإن غبتم غبنا وما اكترثنا
وإن جدتم جدنا وما أبينا
ما بود قايضنا... ولا راودنا
ماهزئنا ماتلاعبنا وترامينا
بل بروح صدق فينا قد زهونا
وذل جرح رفضناه تساميناً
مابتحديد لدور إن حصرنا
ما بتسفيه لرأي إن جبرنا
وإن بيمٍّ سبحتم فلا غرقنا
وإن بشوق كان شوكاً ما لبثنا
وما سهونا بغفلة أن لروحنا
نبض عز فما فُهِمنا فضننا
لأن الهزء كان أكبر
ولأن الهزل بات يريع أكثر فأكثر
حين تُلغى بأمر حين بهين تصغر

حين تحصر بتوق وليس لأمر بات يكبر
ستفهم أنك بت عدماً وروحك عبثاً تقهر
ستدرك أن اليقين كان حلماً يتقهقر
ستلمس ذاك المرار في صوتك وحدك
لأنك وحيد حتى الصوت منك شح
وبتَّ معهُ أقفر أكثر
حتى الصوت منك شحَّ..
ومثل ذاتك لن تتغير.

أيمم الصوب

أيممُ الَصْوبَ والدربَ لا أدري
أميمنةً أمشي أم ميسرةً أغودُ؟
ويضلني التيه فأغدو بلا رشد
أكابد الشكوى رجوايَ معاتبةً
والروح تغالب الدمع إكبارا
زوراءُ لا أناةَ أبغيها ولا صبرا
ما غَروراً كنتُ وما زهوتُ بغطرفةٍ
لكن بعزتي رمْتُ الإباءَ والسترَ
أرقبُ غدي جهناً أم أُسائلُهُ
ليتهُ بالنور يأتِ أو ليته الأمرُ
كم ساءني أن أُكوى بالغُلّة في ناظري
ظمّاءُ والجفن ساء بإغلالي

قد كان صمت

قد كان صمت
والغضبة الكدراء أمستك بليلها
وما أظلم الكدر إن كان لمن أهواه
قد جفك الصمت وما لي به توق
ما كنت له قِرّاً وما كنت أبغاه
والقلب يسائلني أ ذنبي برضاه
لو أنني أقوى هل كنت أسلاه
من ورد مكرمة بوح لشفاه
ما أمسك الصد والروح سلواه
فرح ما حزن ما عدت أدركني
أكان بي أمراً أم بعد يشاغلني
لا أدرك لي أرضاً لا ليلاً لا فجر
أتوه بسكوني أأعصف أم أمطر
أأوب أو أقبل أم صوتي هل أصدر
لا أعلم إن أروي أأقص أم أحكي
كل الذي أعرف ما عدت أنا نفسي
ماعدت كالأمس
دونه ما أنا نفسي

دائرة

دائرة...
دائرة.. وسطح أبيض
وصندوق من أسرار
أهم من كل الأعذار
عذراً افهمني يا هذا
ما عدت أبغيه نزار
أشعاره إلي ترسلها
أتهامسني بالأشعار؟؟
اسمعها مني يا هذا
لم تدرك يوماً مَنْ عشتار
إن كنت في الحيرة غاف
في العتمة ألف ستار
أتقول أنك تحميني
بالله أخبرني
أنسيت أنك تحكمني
من قلبي بألف حصار
ما عدت أهواك لعبا
هو العمر... يكفيه دمار

انتظر

انتظر... قل لي إن كانت غافية
أبنعيمها تغرق وإياي ليلي تحرق
مابالك تشرد ساهياً؟
أبحبها ما ارتعك؟
لتقل أنك تحبها وأن بها ما أمتعك
هيا قلها واعترف
عني بعيداً وانصرف
هو حبها له تنجرف
تلك الشؤون تؤلمني
ما عادت عني خافية
انظرها إن كانت غافية
ما أنت معي
ذراعك وسادتها الكافية
أتراك تمسح شعرها؟..وتلثم شفاهها ؟
بطريقة أعرفها طريقتك تلك الحانية
أتخشى همساً يصيبها؟
أو كدراً؟ أو دمعا بعين رانية؟
ماذا أنا ..ماذا أنا... أأنتظر
مآبك لليلة.. أنت لها كلها
وتبقى لي حيرتي
ما عادت روحي له كافية .

رينبو

رينبو... بأي سحر قد بدا
أم أن صبحي هكذا؟
أطل كان همسه
وورد أطراه الندى
هي الصباحات خمرة
دنان لقربه تسلف
في الخامسة قد قالها
حلو اللقاء إذ يعذب
أعطاف هواه روح هوت
لا أبالها قد تعطف...
بل تعنف وتعصف
بكل حلو من ثغره
إذ يبوح بشوقه
أو من شفاهي يرشف
برجفة أو لمحة
عن كل كلي تكشف
والشوق شوكة ريانة

تدغدغ القلب برقة
وكيف؟ هي من تعرف
بكل فكر يجيدني وإياي يخاطب
أنا لسماه ليلها
والفجر والضحى والمتنفس
قد قالها ويقولها
ما أنا لإياك بمغادر
فكيف لسواك أن أهتف
عطر وطيب شهد روحه
والصوت لحن إن يعزف
في الخامسة
قد قالها.. وإني لها أهاب
تيماً وأرجف

إياها والقمر

إياها... والقمر
كم حلو يدور بروعة... هذا القمر
والليل سحر يقبل السكائبا
في دمع المطر
بنيتي هي الشمس في السماء تلمع
شعاعاً لا القمر
بل حلو لجين ثغره أما رأيت؟ هو... القمر
بل الذُكاء بسماء عرينها
حين إذ
لا بدر لا هلال قد انكسر
وذا النسيم بلطفه
كم قبلاً من خدي اختطف
أي نسيم ترينه؟... هي الريح
لجبروتها روعي انخطف
أماه قرطي أترينه

والمعطف الأزرق

وإسورتي... وحمرتي وسحنتي

كيف أبدو في ليلتي؟

وتقول ليل... ما بالها طفلتي

أتراها تعشق حلمها؟

أخشى عليها

ذاك الترف

هذي أناملي تبرد والثغر مني يرتجف

أخشى التعثر بالهوى... إن تلجمين سهوتي

أو كبوتي...

إليه يدعوني القمر

بألف سحر للسهر

ما بالها صغيرتي

أعاشقة..؟! يا للكدر

وغدوت جليساً

وغدوت جليسا مترقباً..
أدهشة ترجو؟ أم هواك تقلباً؟
فعقدت الأمر للرياح تاركاً
شدَّ حبالَ القلبِ
قد كادت أن تُقطعا
وكنت في عتمة من شقاك متكبدا
ورحمة ترجو من خنقة ظلمةِ
تخالُ أن الإله بك إلا يعبث
وأن الزمان لا يجود بطيبه صاغرا
دعه لشأنه فيريك الأحسنا
غدك ما أنت.. بمشيئة صانعِه
ربَّ صدفة وجدت إليك طريقها
أطل الترحاب.. فثغرها.. مبسم وردة
ما كل ما جاد الحنان.. أنت تدرك
ربما لحين قد سمعتها

أتراها.. تمضي وإياك تغافلُ
ماحكمة أنا أوردها
بل أنت السائل... وأنا... أجاوبُ
كيف؟ وماذا..؟ دعني وشأني
فما أنا
بقادرة على الفصح لأقولها
دعني هنيهة.. ربما أنا أفهمها
وصدقني أني عليك بهذا لا أبخل
هو الصباح وكان في الشوق ليلنا
لكنك وماجرى... تعرف
أطالوا في القعاد عندك وما
كنت لليلي إياك أغادرُ
أأميرتك.. هل حقاً كُنتها
أم كنت بالهمس إياي تمازح
لا تطل الجواب... فقلبي يعرفها
ما الزهر بواح بكل ما يعرف

هي الشفاه

هي الشفاه عاشقةٌ.. إن تغمض الجفن
إياه للرمش.. ستهوي.. وتلثم
أتمتمة تتلوها بغفوة؟
أم.. تراها كانت... تُسَبِّحُ؟
أهو الهوى؟ باح بشوقه
قد جال بالعنق يَسْبحُ؟
والخدُ ذياك.... أبالخضاب لُوِّنَ؟
أم بالحياء؟ لا.. لا تسل
قد هام تيماً.. وتوقاً بالرجاء أُثْقلَ
بل بات بالأكثر طامحاً...
والروحُ عطرٌ ما باله؟
قد فاح بذكره الليلاسُ
والنوّار والليلكُ؟
ماالليلُ ظلمةٌ.. بَل شعلةٌ
تراودها الظلالُ فترقصُ

والدفءُ ريانٌ.. ببنانِه

خمائلاً... ينثرُ

نجومٌ على الوجنات.. تتبخترُ

جذعاً بهمسٍ... قد صاحها

إإياي تني ؟؟ يا حرقتي!

نواك أنوء بحمله...

ونأي والله لا أجسرُ.

شيخ الهوى

شيخ الهوى
شرنقة ذهول
أأقحمت نفسي بها ؟أم تراها نادتني؟
تمادت خيوطها، ما لامستني بل غزلتني،
فردت أنسجتي، سحبتني
وأعادت تشكيلي خيوطاً من حرير
أنت، أيها القابع المستكين ملتحم كالتوءم معي
تغلق عينيك خوفاً من نور، تنسل إلى الداخل أكثر
أما تشرنقنا معاً؟ هنالك بعيداً عن متاهة الزمن وترامي
المكان؟ ثغرك ينشد قطر الطفولة يا لعطش الارتواء!!
تلامسك خيوطي همساً من حرير، تعانق اصطفاءَك لي
زهواً وانتشاء.
يتراقص البريق يسأل، يشهق، أحبيبات الرمان أينعت
العطاء؟!
أمسحُ القطرات على جبينك، يا لدهشتي أتبغي الثناء؟
تلون في وجهي السكون؟ آه كم هرم مني الضياء!!
أحمرة هي؟ أم بريق لا تراه أم تراه الاكتفاء؟

والجذوة لا لا تريها !!! لك كل الانكفاء
إن ابتعد واه وواه يا لذاك الاستياء!
يا يدي تمتد تزيح الخيوط عن لجينه
آه يا سمرة المشيب ، يا ألقي أنت
يا أنت يا كل الرجاء
أكنت حلماً ؟ أم في أثيري
لثمت الخد والرمش
وطار شعري حتى السماء
أيا شيخ الهوى، يا وهجاً
مدَّ يدك أغلقها شرنقة الحلم
دعنا بها نرتل حلماً لا تدعه يكون هباء

******

يعاتبني أني لوحي أغادره
وما درى أن الوحي أمار
يغادرني شوقي وإن كنت أجاذبه
طرفاً من كلم ماجاد بهواه
ماذنبي أن الشوق فاء لغيرهم
عقدان قد مرا والروح لا تسلو
والروع ما فتئ صبّا يناشدهم
قد كانوا وليتهم للنوى صرف
يقارب البعد ويجمع الطرف

حسرة الجمر

حمرةُ الجمرِ
يا حمرةَ الجمر في المقلة مترَعُها
قد جالِ بطرفِكِ الرقراقِ ينهمرُ
وُشحتِ وما كان الثوبُ بذي سترٍ
قد باحَ بالجوفِ وبان ذا الخبرِ
والرمشُ قد ناءَ بالنوءِ ينكسرُ
كم هالَه ما بالباطن من كدر
يا من سحبتِ آهاتِهم بروحِك رشفا
سهرى لليلهِم تلامسين النبضَ والكدرا
كم رجفةٍ خضبت شفاهَك بلوعةِ الألم
أشوقُك شوكٌ الروح؟ تالله يا أم
ما كنت إلا الحضنَ والزخم
قد سُلبتِ من عذبِ الحياةِ وطيبِها
ونؤيتِ وما جادَ بك إلا العتبُ والغضبُ

تلكَ الوريقات

تلك الوريقات
تلك الوريقات أرويها بما أروي لارتوي
والروح ترويها رؤياك برؤى للروع شافية
ما أعذب السكون... إن كان لاسمك يختمه
يسافر للشوق ويساكن الود... والأرقا
أناديك همساً.. وأعيدها حباً لا نزقا
يدك ما زالت في البعد.. ساهمة
تشاور الفكر أن ما عادك... الرمقا
ظمآن لذياك الأمس للباب قد صفقا
أرح البال فخاطري وله لا شفقا
قد غبت عني.. هي الدنيا غادرة
ترومنا الشوق غلوا تصيبنا مزقا
شتان أن تسلو تالله أعرفها
ما عدتك إلا الواله بي وقد وثقا
ياهرم غدنا كم بالهوى كبرا
ما وددناها لكن شاءها العمر ياعمري
يا أنت.. ندى البوح نادتك الروح إليّ يا ألقا

ماهكذا طبع الغواني

ما هكذا
هكذا... طبع الغواني
تتبدلن... في ثواني
ظالم في الحكم أنت
هن ما قبلن في الهوان
إن جولة... في الخلد هنّ؟؟
خمر شفة؟... أو رمان؟؟
أن تتبتلن في انتظار؟
ولؤلؤ الرمش في انحدار؟
يجوب همسك بهن غدراً؟
وتغيب عنهن دهراً؟
وأنت تصبو للاعتذار؟؟
يا غريباً... يا غريب
هنَّ ما تبدلنّ
بل تراهنّ يلملمن جرحاً
هوى على وعود
كانت منك أنت... بلا فخار

تعاتبني

تعاتبني
وهمساً سرّي أكابده
أرطب الشوق بالذكرى
فذا ليلي بات يسامرني
يطوف بي روحاً فلا أشقى
ودمع العين على شفتي
لثماً نجمات يرصعني
أحار فيها أأرشفها
أم أخفيها بها ولهي
هطلت بها أمسي ويومي
وربَّ... غدي
صرخات.. مافتئت... تحبو
ألا تبّاً يا غدي
كيف لي أنْ... أسكتها
إن هرم بها أمسي
ألوم النفس أحار أأدركها؟؟
أما تدرون؟ ما عادت لي

نفسي...

ألست أنت من أشاح الوجه

ونأياً... سلوتها؟؟

فبت دون سلواها سوى الرمس؟

شهباء... يا ألقي أنت

دونك الروح.. أنت... أأفديك؟

دنان ذكراك تسكرني

فتثمل بها عيني دمعاً

نجواي يا حلب

أغدنا بك مر

أم هو الشوق... أمر؟

خمس وما كنا نحسبها

تالله....ليته ما كان ذا العمر

أبعداً عنك أصابره؟؟

يا عمري...ليس بذا عمر

هات يدك

نجواي يدك.. أعد العناق ولا تخف

ثكل الهوى شوقاً إليك

بوحاً من ثغرك ما اغترف

هاتها أضمومتي تبكل الخصر والطرف

فالشال هوى

أدنوك مني بذا الشغف

برقصة ستارها لجين القمر

هو ليلنا

أنا وأنت والسهر

دع عنك همسك والرجاء والخفر

شموعنا.. ظلالنا ترقص على الحجر

أعشق المصابيح... فوانيس الليل أحب حتى صحوتها الكسولة في الصباحات الشقراء... مغمضة عينيها تنتصب كما الحلم أمام الروح... هامسة لي... ها هنا أنا... إغفاءة إلى حين.... أنيقة كالصمت الجميل..... ماكرة السحر تعلم ماتفعل بي.... ما إن تفتح عينيها بوهج نور ينادي أن اهرعي إليّ بالقبل..

ها هنا ألوّن لك حبات المطر
شفافة بريقها يسامرك حتى السحر...
كم أمها اليمام بهديله مبتهلاً
والنوارس لو أنك تعرف
فلة بيضاء على أكتافها
كما على بذة عاشق ينتظر...
تعانق الغمام بعنقها وتنحني
لقبلة من نسمة بها تعبر
حاملة عطرها من كل زهر...
رشيقة بقدها كراقص أندلسي يختال واقفاً
والريح حوله دندنات
ترنيمات بوح بعشقه لفاتنات
طرحن عنهن شالاتهن تحت ضوء القمر...
والنور منه فتنة.. لجين فضة...
تحيط أخمصه بحلقة
فيها الفراشات ترقص
حول ورود تمايلت على خدودها
شغفُ قبل بللها حيناً عاشق.. ذاك المطر...
بعنقها تنحني وتهمسُ
إياك بنوري أنا ألمس
دع عنك هما يوجسُ
إني لك نور مؤانس
مُسامِر ولك حباً أجالسُ
أغامز بنوري بل وحتى ألامس

ومني من كل ومضة هوامس
برقصة أجيدها أنا وص وأمايسُ
كل مادوني عتمة تخشينها
هو الظلام رهيبه كم دامسُ
إليّ العنق هلمي هاته أداعبُ
وأميس على الشعر عذبا أمالسُ
والرمش آه من جفنه
كأني به يتناعس
هيا إليّ لرضوتي
أرويك حباً بفتنتي
لك أطلي سحراً بفضتي
لوجهك وروحك وقدك
في الوحدة العتماء
أُجيرك.. من همك وحزنك
أرمي به إليها حيث أتركه
بعيداً هناك في الغابة ترينها؟
هناك كم كنتِ فيها لتشتكي
لها النهار.. وألوانه
أطياف من بخلدك تسبحي
في الليل أنا لك خلُّه
أمين لدمعك وسره
سيري إلي... بل... حلّقي
إني لك لناظر... أنتظر

مشاكسة خطوط النور تلكَ...

تنسل ببراعة سارق بين ثنايا العتمة...
تداعب رمشاً هنا... وتلثم ثغراً هناك...
وتسحب معها جذلاً... روحاً قد كانت سلمت باسترخائها
على عتبة انتظار... للسكينة...
ليمخر مركبي عباباً... لا كنهاً له أدرك..
ولا اجتراء... على عبور الخطر.
إن هو... إلا..سفر
والمحيرات.. من الصور
هي نهلة..لسويعة...
قد ساقها لي القدر
أو وهماً..كدت أدركه
لو كنت تدري.. يا عمر!
ذا.. سرنا.. ما أروعه!
لروحي بوح ألا يغتفر؟
يا ذا المنادى.. يا همسه

كيف أجيب أأعلنك...؟

ويحي ويا بئس القدر

عهد علي صلاتنا معاً

يوماً...

يجمعنا فيه شوق بلا خطر

تومئ إلي معاتباً؟

أذنب سجينة زادها الخفر؟

عقود مرت ونحسبها..

أم سبحة...تلون سنينا أيامها والقمر

ما بين ثلجي ورمالك... مد وجزر والسهر

فكيف بالله.. تطالني... ويداك هشمها القدر

صبراً علي يا عاشقاً

أبا الجود الكرم أنت والسمر

أمهلني... كفاك يا لائمي.. ما من ذنوب لا تغتفر

قد كنت يوماً لي عابداً... علّ الزمان أن يصطبر

******

وما كان لطلٍ أن يهمي... سكناهُ القلبُ يصدُره

يبوح ويسكب السحر لشفاهِ الوردِ تدمنه

عذباً برقة الهمس وكم به حلواً يدندنه

عطراً على الخد أبلله فيعاتبني الزهرُ يستغرب
ماذنبي إن كانت له شفتي
والجفن حتى يستعذب؟
وأن ساحَ أخاديدا وجاد بدمعٍ على رمشي
كما الشوقُ بأوردتي يراقصني
حلَّ لي حلاوتُه... طلٌّ وما أعذبُه
وأستبيحُه بشوقي شغفاً
كيف له أن يباعدَني ..مددت له شفتي تلثمُه
عطاءُ الله أذهلني صفاءً حلواً يُهاديني
هو الطلُّ... لصباحاتي... يوردُها.. يؤَلِّقُها
وأخشى يوماً تثلجه سماءٌ تقسو على الغصن
أُحارُ كيف أداعبُه هو يغفو مع الورد
ريانٌ ما أدركه.. فقد أقساه ذا الزمن
وليتها تربع أزمنتي... وليتها جود بلا محل
وليت الزهرَ يورقُها فأناشدُه صبحاً للطل

هو الجوع

هو الجوع
في البطون سغبُ خوىً وجوسُ مخمصةٍ
والأعين توجسُ بالروعِ من قادمٍ وجلا
أهابوا بهم أن برضاهم صمتاً ليلتزموا
فلا شكوى تساندهم ولا اعتراض ولا شجب
أراعوا بهم الجزع والخشية والغضبا
فباتوا لصمتهم إغضاءً وإطراقهم كظماً
لوعدهم صدقوا وأولئك ما صدقوا
كم أسمعوهم من وعدهم تهوينا...
وكان من سياط الحقيقة تهويلا
كم أزبدَ فيهم وغرُ موجدةٍ
فما باؤوا إلا بعسف جور وإلهاد
بل كم ظلما أهينوا حتى أمسوا بإلحاد
جوع... وإملاق.. من دون إحقاق
أن يصبروا ويقولوا إن هي أرزاق؟

من يسمعوا هذا؟

ألزرقة جلدتهم... من البرد..

أم لخيام تاهت من الوتد

أو لصرخة يفهمها ذوو الضاد

من يسمعوا هذا... أن صبرا؟

ماعاد لهم حتى للستر أن يجدوا فيه أمرا

كفاهم ما تعروه....

قد فاض الكيل بما أذروه...

وحق الحق أن كفاهم ما وزروه

فالجوع... جوع.. لا وهم ولا كذب

ما يدركه يوما ساط بلا قلب

كالأرانب..

كالأرانب.. نحفر الجحر بكل جانب
نقضم الصمت ونخشى أن نعاتب
وإن بعذر ندعيه طرفهم قد نجانب
قد سكبنا.. أمة شعوبها لا تحاسب
كالأرانب نغفو وثعلباً لا نراقب
جحورنا بالطمي مست من كل صاحب
شفة الأرنب شقت كي لا تطالب
كالأرانب... وكيف لك إياها أن تخاطب

******

لن أهاجر

ما زلت في قلبي لن لن أغادر
خمرة الشوق فيك قد أعاقر
يا وجعي يا توق الروح إليك تسافر
والساخنات على الخدود لا تكابر
أحاطت الجيد ورجفة **الفيه**
وهي عنك مع الناس تحاور
يا سفر الحلم يا انبساط الأنامل
يا من كنت بوابة الرجاء لكل سائر
كم أغزل الغيم وشاحا
يجرك لداخلي لأصيب ارتياحا
حبالك والسرة لم أقطع
شهباء يا وليدتي
صلبانك والكنائسا
قبابك والمآذنا
يا نزفي يا أنت

يا غارك يا امسك

يا كل المفاتنا

أبوابك إن هدموا

جدرانك إن خربوا

ما زلت أنت أمنا

يا حضنك يا ودك

يا أنت يا أنت

يا بعضنا لا بل كلنا

ما أنا بالكذب أتشدق
هو البحر أراه يغرق
خطاي لأسفاري مدروسة
أخبرني من منا هو الأحمق
ماعدت للنهر ألونه
قد فاض بي لون الأزرق
يكفيني ما بت أعرفه
حيتان للروح تسرق
شمسي عن أرضك غاربة
ما صفوي أتركه يسرق
أنشدني توقاً إلى ذاتي
قد آن لها روح تصدق
أزمعني ألهث في لهاثي
أرهقني قلقي أن يورق
والروع جفني أحرقه
ليل لا غد له يشرق

******

سوريا يا حرائق الروح
سوريا يا حرائق الروح
قد أحرقوا مني بك غدي
أأشكو إليك الروح ضامرة
أم تراه في النزع جسدي
وإن أشرق بهواك فلا عاثوا
بك أرضا بسطو جهارا بوغد
بكل إفك وغل نهب يسوقون
للجوع ضور عتي وذل افتقار
عتيد به راموا الشعب ببؤس أبدي
أي كفر وأي خس صاغوه سرمدي
ما بالهم ما بالهم تبّاً
ماعاد حتى للرضع حليباً بثدي
أهو الضمير فقأ بجبن فما له عين
ترى شوك الحق بالحلق يدمينا من ردي
أهي العقول بها السفه يجول ويعتدي
بأي روم لنفع نقتل أما لنا من عيش عز
وإن أسأل يوماً ألي حلم أصبوه لغدي
فماذا أجيب وماذا أقول إليكم هاك
ما كل ما في الجعاب مبين
ثماراً رمينا لأسنانهم والسنين
لنا تمضغ وبالبصاق تجود علينا

ومنا عويل انكسار وكل الأنين
وإن بغيتم وما يوماً بغيتم
بل بفقر حال كم به ظلمتم
إن قبلتم يوماً بكسب حرام
عتاة الرؤوس تداهنكم بزود
إليكم ماأردتم من سد لرمق
بل رب على من تذلون أن تجودوا
لكم من الحكام أسوة بالشر تجود
إن كان هذا شرطهم لتصغروا الجبين
والخد يمسي للحذاء ودود
بحق من أسمى الحق حقا
أن لها جهاراً تقولوا قد كان وهما
ذا غار كذب به كللنا أم شوك ودود
ماذا يا شعب أنحرقُ أرضاً
ماذا يا أنتم أما عنها نذود
كفانا خنوعاً ولتقلبوا الأكف
فكم خنوعاً تصفق بكذب صفيق جحود
بلادنا كم وتدوها بأعلامٍ
كنسها بات واجباً علينا أكيد
يااا حرقة الروح يا أنت يا بلادي
يقولون صمتا بالله كيف للصمت
والصوت للروح ليس إثماً ينادي

هناك بأرضي لثغة طفلي بأول حرف
وخصلة أمي وطرف شالي واسم جدي
ولشرفتي كان بها يبوح عطر وردي
ويقولون صمتاً...كيف يا أنتم
أصمتا تريدون مني ألوذ
أأهديكم صمتي؟ كيف يا أنتم
أهل عميتم أم بصم بُليتم
تلك الروح مني هم يستبيحوا
سأصرخ لتصغوا يبغونا كأقصى لنقصى
وقد كان وأقصي من أقصى
وما بعد استكانوا
هي الروح مني قد أحرقوها
وحتى الرفاة لمن أحب دمروها
كيف لوهج نار يطال حتى مني زفيري
هناك مازالوا يناؤوا عن دار
ويصرخ طفل ذاك يا أمي كان سريري
من يسمع هذا أصاحب بزة وشال حرير؟
وسجي شيخ وطفل وولد
وما كفن لهم كان في الزمهرير
يا لعنة الصمت ويا لعنة الرمد
بلادي هلمي ..لو تستفيقي
قد بُحَّ مني صوتي وقلبي به جرح الوريد
والله لا أشكو لي أمراً بل أريدك بعزٍّ تعودي

أبا ايفانكا

أبا ايفانكا مهلاً علينا
وأمهلنا فبالكل قد ابتلينا
هم الزعامات حلٌّ لدينا
والأساطين باتت ذخراً مبينا
قد قددنا و يا لهول ما اشتكينا
أتورد العربان أملاً بسطو
ويحنا نحن بأيِّ نار عنينا
كم وكم قد قلت فيهم سفها
والآن تمدحهم ولنا الغدر
وغداً بالدم يسيل ثخينا
فيا بئساً وبأساً ما قد لقينا
جبتم قراهم بحسن الغواني
فأهالوا التبرَ لهنَّ بالصواني
أترقص لهم بالسيف والأغاني
وغداً تراقصهم بسامبا ورومبا
أوطاننا تنهشها سلباً ونهباً

هو العشاء ماذا أكلتم؟

أهي أجساد قتلانا ما التهمتم؟

والخمر أحلواً كانا؟

أم المذاق مرٌّ عليكم؟

دم قتلانا...؟ كيف كانا؟

بحق إيفا... أحنت يديها؟

خضاب... التراب... طري... لزوج

به دمانا.... بدفء..... تموج

جهلان... يا أنت... وأي كنز؟

تجود... بكرم... صفيق... حقود

كيف بالله لك أن تسود

نعاجاً... ضعافاً... وذل ولود؟

عربانا... عارٌ علينا... أنتم

ومازلنا نؤمن بغضب عليكم

كعاد.... أو ثمود

يا لهزل... الأماني... فكيف السبيل

وكل الحكام... للعدو ودود؟

وعارنا أنتم... للسلم صدود

أحقاً... منكم كنا... وكان الجدود؟

عودوا لرقص الطبول... وعطور العود

سفوا المناسف... وأريقوا الدهون على الخدود

أمروا برحيل فأُمرتم وكم مُرٍّ ما به مررتم
مريرٌ مرارُكم وما كان هذا ما رُمْتم
أما بذل في الرميم قد رُميتم وأُرِمتم
إن بخبث يروموه لكم عن الحق سكاتا
فما والله عنه اللسان أرَمَّ بل ما صَمَتُّم
والجور كان من بطن حمانا أمنه سلمتم
هي الحبال أرمتموها لخيام وإذ بها خنقتم

******

ابتهالات رمضانية

رُحماك ربَّنا يا ذا الصفا
بتُلنا بحمدِك ومنك الرجا
إن كان نأيُنا عنك تجبرا
فعذرُنا طمعٌ بعفوِ ربِّ السما
أُخْشِعَتِ القلوبُ منك تضرعا
وَسَمت فيك حُباً وتوَجُّفا
سماحاً إلهنا فمنك الهدى
نلوذُ بك فكرا بقلب هفا
نخشى الضلالَ أن نوشكا
وأنت الرحيم إن عبد جفا
فكم بغلو ذنبٍ نقيدُ أسفا
نضرع إليك بدمع وشوق
فأنت الحبيبُ وأنت المجيبُ
فباركنا بليلة قدر ليست تظلما
بها سنا نور إن يشرقُا
تسجي السكون بكل الصفا
وأنا لها نصيحُ ونهتفُ
يا ليلةً لها خشعنا حباً نرجفُ
إليك فؤادنا... هيا املُكي
لجوى إثمٍ لظاه لو تطفِئي
عبادك نحن يا ربنا

أفض علينا رحمة والطف بنا

في هواها والحنين
في هواها ..والحنين
ما بالي أأناجي النفسَ قسراً بالهدوء أهادنُها
بهمسي أدعوها لصبرٍ أم بالكذبٍ أخادعُها
والغلوُ أتراني أجود به جوراً بسفكٍ بي صاببُ
أعن زئيرٍ غضوبِ أصمُ لوعتي غداةً يحاربُ
والجفنُ كيف للنوم ليلاً بالله أن يراودَه
وسنانُ أما غزاه الكرى وما هو به بقانع؟
سلوتُ بتلك الأرض بعيداً عمراً سكينتي
وما باتت الروح دونها إلا قفاراً تنحبُ
أيا عشقاً بتوقِ شوقٍ أساهُ استباحني
من لها بأن لإياها ما يوماً النفسُ تبارحُ
وإن تسألوني كفاكِ ادعاء فها أنت ذي
قد هانت عليك وهنت وبكدر إلا تنافقي
أقول لا تزيدوا الحناجرَ في الجرحِ غصتي
هو الأزيزُ ماعاد صوتاً بل والله حشرجتي

قد غصَّهُ الشوقُ والروعُ به آهٌ كم هذى
وأنا الظمآئةُ لأمسي هناك وإن للهيبي أترعُه
رياضَ الروحِ كانت وجميلَها كم كنت أرتعه
ذا صبحُ صقيعِ وحدتي بات بالريحِ تصفعه
شتان يا دفءُ أنت ما خلتني يوماً له أودعه
يقولون هي هناك هانئةٌ بالفرحِ لا بل وتبدعُه
لو يدرون سري أوشوكَ سرابي كم أتدعدعُه
وإني بكد عرق وخضابي أغمس لونا ريشتي
ودمعي يتلوني أرجوحةَ قصيدةٍ ماكنت لها
القصدَ بل بها كدت أبوحُ بما أضنُ ومقصدي
يزيدوني أن لك بالأناة ما بالك ألا تتمهلي
والله أنوي لكن نواي أنوؤُه فظيعاً ذو جلل
هي الديارُ صبا العمر وكيف أسلو من ببالي
لأناي الفرحَ كانت باتت أناتي وبعدها عللي
شهباء واشهقةُ حرفٍ يراودُ أنفاسي بلا كلل
فدتك الروحُ أيا شمساً بغوها ديجورا بلا أمل

وقد شاؤوا

وقد شاؤوا ..وما شئنا
فَشُيِّئْنا
بِرِقٍّ الرقم على رُقٍّ ..
بدمغ الإصبع.. وكم يلسع
وكم به نادت.... أساميا
بزفرات على أمس
وما عدنا له ندري
أبيضاً كانت أم سودا
أماسينا؟
أحنقٌ نوحنا أم ذهلٌ
أشوقٌ هو أم الشوكُ؟
أم ما إلناه يضنينا؟
وكم من وَصَبٍ يغشينا
بأسواط من القهر تغشونا
فذا رَوْع عشناه

وبالرُوع سكناه مازالت

كيف للحُمق أن يصغي

أيأمل أن لها عَوْدٌ أمانينا؟

ترابُنا يصرخ لا طربا

فلا تَرُبَت أياديهم

فكم عبثت وكم عاثت

وبالليلاء قد طَمست.. معانينا

سُلبنا بغدر أئمتنا ووالينا

فلا جبل ولا سهل

ولا بحر إلا.... ويحكي مآسينا

هنا شعب... هنا أرض

وطغيان وخذلان يعادينا

كمهاءَ باتت بصيرُتهم

أبالأوهام تراضينا؟

صدقاً بتنا نعرفها

مِزَقاً قد باتت أراضينا

صرخة الروح
(في حصار غزة)

وتصرخ الروح غزة
للأمة ألف وخزة
ثوب العار فينا تمزق
ولن ترفوه ألف غرزة
شيوخنا بالغدر... سادوا
في جبنهم باتوا إوزة
وغزة قد حاصروها
حكامنا إياها باعوا
ولا تسل كم للمال لذة
فالفاتنات باسقات
نهودهن شامخات
وللغرور في القصور ألف عزة
بالله عليكم صبوا الكؤوس
واشربوا في نخب غزة
وهل كانت بالبال يوماً
تلك التي.. يقولون إن اسمها
غزة؟

أسألكَ قبل أو بعد

أسألك قبل أم بعد؟
يجيبني صوتك بمرار
قبل أو بعد لا فرق
فما ساد هو خلال
وتسرح عينك في الأفق
وتهز الرأس تستغرب
ألهذا سؤال ياهذا
عبث ودمار وأغلال
ويقهقه الدمع بجنون أيا أملاً بات محال
عبث السادة يفتتنا
بالعهد كم كذبا وعدوا
ماكان منهم السند
بل شرهم ما كان وبال
تساق الشاة للمسلخ
طوعاً لا وعياً تصرخ
ما احتاجوا في هذا لحبال
مطأطئة أبداً لا تسأل

ما عادها أنها تسمع
سور صممهم عال
سهل أو حقل أو مسلخ
لا فرق لا لا فرق
ما هم السادة أن تذبح
مآدب حاتم أبي الكرم
يدعون الضيف يا للشمم
من هنا كتف ومن هنا فخذُ
الدم كثير إليكم فخذوا
فذو العمامة أفتاها إذ يعظ
وتسأل أفي القلب هذا يخز
أبناء العم يا سادة
طوع أولي الأمر بنا عادة
وتسأل عن هذا إذ يخز؟
أنجيب لا حل فهو العجز
لا حل قالوها هو العجز .

إليكَ فلسطين

إليك فلسطين
وطني يزهر ليمونا أحمر
مُرَّ الألوان
صعبٌ أن تجدَ فيه السكر
غاب الإنسان
عن حقك تبحث؟ تتحسر؟
لاعدل قد كُسر الميزان
إياك تطلبُ وتتذمر
العين عليك تتسمر
لا أرض لكم قالوها
وليس لمثلكم أن تشطر
أرض الميعاد ونملكها
مالكها واحد بلا ثان
قالوها بالنار وصدحوا
فليصغي منكم من خان

تبا لهوان خذل يكسرنا

أتخالوا شوككم يجرحنا

أصغوا لزئير حناجرنا

شبابنا ماعاد الضيم يرهبهم

أطفالنا لا تخشى القضبان

هي أيديهم باتت حجرا

يا شررا من شعب غضبان

وتعلو صرخات أمتنا يكفيها صمت قد رانَ

للأقصى شرف للقدس

ألا ويل لمن يحسبه هانَ

وتقرع أجراس عزيمتنا

ومآذن تصرخ وصلبانا

يانصرنا أيا أقُقاً قد بانَ

بك نجلو الديجور من غي

بنورنا آتون بأوان

ما بال الأنام

ما بال الأنام على دَهْمٍ جؤفوا
من بعد ما هاؤوا جذلاً بما اقترفوا
عِسْفٌ وإلهادُ وبُغي مَظْلُمةٍ
وجورُ طغيانٍ لا عدلُ بل جنفُ
سيم العباد استعبادا وكم وُسقوا
من أرضهم زورا ما هكذا الشرف
هي النار شُبّت ضِرامُها سُعرتْ
ما عاد يجدي صبرٌ ولا رهبُ
هم السوامُ كم غلولاً أرِموا
والمملقون لجوعهم ضرمٌ سغبُ
تلك الجباهُ كم صعّروها لمكرهةٍ
ما خالوا أنهم للأرزاء قد وُكفوا
ذاك الفُتاتُ ما عاد يكفيهم
ما رِمْنَةَ الديمِ يبغون بل الرهم

هاك خيطاً ليدك

هاك خيطاً ليدك ولأخرى مزمار وحبر وسكرة
رتّل بصوتك ماتشاء فالأحرف ما عادت مثمرة
وارفُ بخيطك رقعاً لثوبٍ أحرقته نارٌ مسعرة
شوهاء ومنهم كم عهدتها رؤياهم تلك المقفرة
أقول حبراً؟ تفغر فاها مستغرباً ماهذا زمن محبرة
تضحك دمعاً إذ أردفُ يد تحمل لثغرك سكرة
تدمع عين يجيب صوت بطنك الجائع بقرقرة
فالشفاه قطبت إياها أن تبوح عن هذا بثرثرة
نوّاءٌ بحملك ذاهلٌ متسائلُ أبعد السكونِ زمجرة
هي السلاسل من خوفك ماعبثا بها قيدتَ أنت لن تبحرا
عهدي بك دائماً بالصمت راضخُ والجبينُ مصعرا
كم كفكفت كفاكَ بحنقٍ عبرةً وهما تهللان ظاهرا
ظلامةُ الضيمِ بجورِ عَسَفتْ فلا بعد تبغي أن تصبارا
الصوتُ الكتيمُ خَروشٌ في الحناجر بات يضج مستعرا

ابتهالات

قد هدني في ذكر اسمك تلهجي
عذباً أناديك في الدجى أردد
إلهي إني آمنتُ بك تتيماً
وكم شغفت بك حبا لأهواك
كم ستَلَ الدمعُ مني تضرعاً
لرحمةٍ فمنك السقيا أتوقها
فهللا أهللتَ علي برضاكَ؟
فدتك نفسي وهي لك أواهةٌ
لك العشقُ وأنت عشقي ياخالقي
وحقك مارمتُ أن أطيعَ إلاك
أُهِلُّ إليك خفراً بخافقي
وقلبي بحبك شَغِفاً آهِلُ
فأنت البديعُ الرحيم الواجدُ
وبك وحدُكَ وجدي
وكل ما دونك يا مُعزّي آفلُ

وأني لك عبد خاشعٌ
يطيب لي ذكرك أنا النشوان القانع
عَظُمتَ ربي للروح أنت السُلوانُ
لك أسلو الدنيا طوعاً أفارقُها
رجوايَ أنت والكرم منك غفرانُ
والنهى نهي والله لا أبغيها أدران
بتقاك ربي الروح تختال وتزدانُ
مولاي أني لأخشع وطمعي منك رضوانُ

وآه يا وطن

وآآآآه يا وطن.. مازلتَ تقْتَضَمْ
كم من لاءات تصاعدت
وأصمتها من غابت فيهم الذمم
هي ذي الجفون أطبقت
فلا عادها أن تبصر خرائطاً باتت ترتسم
يا جهلنا يا ضعفنا...
كم ازدرينا بالقمم
واللهو كنا به دمى لذوي العمم
لا تصرخوا... فكلهم باتوا من أهل الصمم
أأعلامنا ما نُكِّست؟
لابل رؤوسنا..حين بتنا كالغنم

المزامير

حمل المزامير انكسارا ومضى
قد كان عهدا عهدوه وانقضى
تراه الصم عن الجور مااقتضى
هو الجوع أشعل العقل فأومضا
ما كان هزلا للآن قد رفضا
والعيون ماعادت تميد غضضا

بين هيرروديا وسالومي

بين هيروديا وسالومي سبعة أثواب ورقص
والشعب قضية
تلك سالومي فاسألوها عن وشاح بدمانا خضبته
قد كان هو الهدية
قالوا سبعاً أو رب عشراً لا يهم بأي لون
فالعيون في سكون والعقول في جنون
الحنق حمق والأمر أمر
أن تطيعوا بأن تجيبوا مالنا بتلك الشؤون
وإن تُحدِّث عن عري ثوب في الأمة غدرا يمزق
ماعاد فتقا بالكاد يرتق
كم شسع بون
تجول المنون
والكل ترك ليغرق
تسائل أمساً كم عزيزاً كان فينا وما استقام لغلٍّ
جهل به أوتينا
النار حقدا أشعلوها فتنا في البلاد أوقدوها

مزقاً مزقاً نثروها

بالآه جوراً كم أوجعونا

مفاوضات معاهدات بأختام دمانا أمهروها

تلك الدماء كم أهدروها

والصمت صم والطبع سكٌ بالآهات يلزمونا

إن غضبنا أو سألنا لأي ذنب بل بأي حق

لبالهم

وابل يهيلوه علينا

قانون قيصر وابتدعوه ما طمعنا بترف لسكر

بل بخبز لجوع أو دواء ربما أقل وربما أكثر

وحاسبونا وصرخوا فينا أتمأمئون

أما تهابوا العواء والعصي على الظهور تكسر

تلك أثواب سالومي نراها مدت

وعود على الكراسي جدت

بالساتان جددوها بالطلاء لمعوها فالأعين بهذا تروض

والصوت أقسروه يردد

واه لغمد حسبناه لنا أمينا

يزود عنا النصال لا يتركها علينا تسدد

قد حذرونا أن طأطئوا الرؤوس مالكم في العلو مطرح

ذا الزمان بذلكم يسود

والحاضر ما بعزكم يعود

الطبل طبل والزمر زمر

وتحت الرماد يقيد جمر

أحقاً تخال الشقي يفرح

والبعض غاف في الحلم يسرح

ما صوت غير صوت سالومي يصدح

يكاد الشرر في عيونها يقدح

تصيح تصرخ

تلك قرابيني فهاتوها هاتوا

دم شعوبكم ماهمي تذبح

ماهمي تذبح

مابين فتق ورتق

مابين فتق ورتق بات الثوبُ مزَقا
فالقلوبُ وجبت والخوفُ أمسى أرقا
والضريةُ هنا أو هناك أو حيثما اتفقا
سماؤُنا نيرانُها لاهبةٌ وما هو بالشفقا
قد ضجت الرعودُ وبرقُها زاحم الأفقا
كم صرخةٌ إنا هنا والموتُ صمٌ سبقا
ما بين غوثٍ وغثاثةٍ تاهَ الحجا وأرِقا
فلا لبٌ في حصافةٍ والرشدُ منا سُرِقا
والأكفُ تضرعُ حائرةً والغلُ ما ترفقا
ومثيلُها هناك واجفٌ ودمعٌ له أحرقا
كنا وما كان لنا من أخوة أن نتفرقا
بتنا بغلٍّ وغلالةٍ أُدمسنا بتدليسٍ سبقا
والرجاءُ لفطنة بات ذنباً ما كان ليمرقا

******

حُمِّلْتَ وكنتَ الصّفوَ لكلِّ ذي كدَرٍ
واختاركَ المولى فكنتَ للدِّينِ مسعاهُ
يا عاقبَ النّبوّةِ نلهجُ باسمِكَ نُنشِدُهُ
وأنتَ المصطفى الأمينُ توقاً نناشدُهُ
سكناكَ الرّوحُ روضاً بتُقاكَ
فأدركْنا
ما لُذْنا بحبِّكَ إلّا تقىً للنّفْسِ لا نعاندُهُ
فجُدْ بنعمائِكَ غيثاً بالكَرَمِ تُهطلُهُ
إنْ أنتَ تدري نورُكَ بالقلبِ تسكبُهُ
بحُسْنِ خُلْقِكَ صار الكونُ أنوارا
وضّاءً والرّحمةُ منكَ بالشّفاعةِ نرجوها
وما كنتَ إلّا الكريمَ هدىً وإزهارا
والخاطرُ منكُ يهفو فأجبرنا بمكرمة
بَتَلْنا للّهِ عشقاً نسمو بهِ نجدّدُهُ
فجُدْ برضاكَ جودًا باللّهِ تباركُهُ
واشفعْ لنا حبًّاً للفردوس ندخله

******

فلنطالب... كل من فينا يطالب
للطفل روح.. آن لها أن تحاسب
أفاقها جالوا بحمانا وهم للحق سالب
ثلة سفها بغت بل كم تشاغب
يده الطفلة رسول للعدل يا أصاحب
تشحذ الرأفة وما تدري
أنه لها من الحق جانب
يا لجوعه كم أهزل البطن والوجع كم يغالب
والساخنات للوجه تغزوه حرقة من كل جانب
مدها إليه أناملا.. طفلة تنشد الرغيف للأقارب
هاكها أخي يدي أمددها ..إليك ضارعا
ألي ببعض خبز ألست لي أخا وصاحب؟
يا ابن أرضي.. وبلدتي..جائع أنا
بالله عليك... لا تقسو.. لا.. لا تعاتب
ماخاله أنه كان صفيقاً عازفاً عن أن يجاوب
نظر إليه بود الرحمة.. والبسمة للشفة تداعب
بالله لا.. ليس برأسي تفرغ
بل للجوع لو تقتل... أكفراً كان يا سادتي
أني من بعض قوتكم أطالب
ليس بالرصاص وحده قد كان مقتلي
بل في ضمائركم.. تنشب بنا كالمخالب

هي روحي... ياأمتي وأخي وجيرتي
من إياكم... تطالب
تلك أمي... لدمعها... كم تغالب
بني بالرصاص مزقوه رأسه
يا ويلتي...من منكم... أخاطب
بالخسة إن تصمتوا....
يِا عمق جحركم يا أرانب.

******

ماعاد يمسينا أن الأمس يواسينا
مُسّينا بصبح ما بالنوم يحيينا
غفونا.. وكم غفا بنا هزل
بتنا ومابات للرجا موازينا
وكأن للأمس مساس بما فينا
فاليوم لا ظل ولا شمس تدفينا
ماتدرك الشاة أن الراعي ذابحها
وتلهث خلف العصا خوفاً تراضيها
أضحينا للعربان أضحية
وبثراهم في ثرانا يوارونا
كم طالوا بالعتبى مذمتنا

كم أدموا بالجرح مآقينا
والستر كم أوراقهم كشفت
ماعاد الستر للروع يهدينا
سلبنا وكان الصمت يطوينا
في الداخل دواخل ودخان يعمينا
وفي القلب بصر.. للحق يهدينا
مَدىً ومِدى ودُمٌ ودُمى
وكلٌ سرابٌ للغد إن آن الردى

****

ما للعروبة

ما للعروبة تناطحت رؤوسُها وتطاولتْ أشواكا
إن مَسّوها بمطلبٍ تخاذلت ونادت هذا إشراكا
والحقُ ساد بهزلها كذباً وهرجاً بات ظلماً وإفاكا
ترفو سادتها غدراً ما جاء في كيد اتفاق وزادا
وللشعوب أرغفةٌ بها الزعافُ وملحُ صبرها زادا
يا عرب مابال طائيكم أحلتموه لكرم الغدر مزادا
سود صنائعكم بأقصانا
شهباؤنا منه ما سلمت
بها وبالعراق كم ماد و أجادا

****

هوان

هِنتُم بأرضٍ وما هانَ الهوانُ علينا
بأي الهوام فيكم أُصِبنا وكذا ببلواكم قُرانا
شَجونا لغدرٍ وما بالشجو نندبُ أرضاً
تُرانا سَكَبنا في الساح جهاراً دمانا
وما لأذنكم صُمَّتْ تسدوا عنها الأذانا
أصملاخ جبنٍ سدوا عليكم السمعَ قسرا
أم الجباهُ بالذل صَعّرتُموها كرهاً أو هوانا
مطيةٌ خنوعٌ رُكوبا بِتّمْ لكل من يرمي إليكم
بالأخضرِ أثماناً تشعلون بها بالأهل نارا
إن تدركوا أنكم لبنيكم
تلك الديار تُمسوها قِفارا
كم صدحتُم في الغوابر إن أنتم إلا للمجدِ غارا
بالهزج كم صدَّعتُموا الرؤوسَ غُلوا وافتخارا
ترنح النفوسُ سكارى فيكم إن أومى عليكم
هلموا إلينا تضموا السواعد فينا تساندوا الظلم

ودعكم من الشعوبِ اعتبارا
ونحن نثبت فيكم عروشا
وأنظمةُ حكمٍ لكم احتكارا
ماهمكم إن بِتُّمْ بوصمِ شعبكم عاراً واحتقارا
تلك الشواهد بالقبور مُدَّتْ لتعلوا عليها
تصيبون منها جذعاً وهلعاً.. واصطبارا
تلك الشعوب على أرماسها
تقهقهون بذكرها افتخارا
جبلتم من أمسكم بغدرٍ
وأمسينا بضعف هشيشاً لا اقتدارا

الأقصى

وما أقصاه... من أقصى
أتدرين يا أمتنا قد خسرنا مسجدَ الأقصى
وما أقصى من اقتصّ من الأقصى
وأصبحنا بما كنّا وما زلنا بلا أقصى
ببزّةِ الذلِ أُكسينا عراةً بتنا بلا أقصى
شغلنا ببلدان قد أُقصي منها من أُقصى
غدونا دنانَ خمرتهم و دمانا
نخبُ من بنا بالقتل قد أوصى
عدونا نُسائلُ بعضنا البعض
أخالوا.. جدّنا بالعودةِ هزجاً أو رهصا؟
أُجبنا أم ترى بيعا؟
أخوفا ما هدد الروعا؟
إن كان وعدُنا شمما؟
أخان رجالنا الذمما؟
إباؤُنا أكان وهماً صنعناه؟

وأرضنا... شرفاً سفحناه؟

عويلاً... كم سنبكيه

فذا مسجدنا الأقصى

خُذلنا يا أمة العرب

ولات تنفعنا الشكوى

فذا تبرٌ تقاضوه

وما من صمتهم رجوى

قضمنا لساننا ندماً

فكم باح بمهزلة

بإنا وأنا للعزة خيّالٌ

لنا بالساح مأثرةٌ

كفى بالله فذا كذبٌ

حكامنا للتهريج عمائمهم

وما بالرؤوس موافقة

نعيده... يوماً لنا... الأقصى

مابين الأخضر والأزرق

غابة... وبحيرة.. والروح كلها حيرة...
فكانت الكلمات
مابين الأزرق والأخضر
حلم بالكاد يتبختر
شوق ما عدت ألجمه
توق للشفة والعنبر
الهمس في الليل وشوشة
والجفن يبوح بالسهد
ظمآن قد شرب الأحمر
والآه شوقي لأغنية
مازالت بالروح تتسمر
فالشعر ريح تعصفه
ترميه في الأفق الأغبر
أجوب البحر أغازله
بيدي فتافيت السكر

أبحث عن عين سمراء
عشقاً كادت تتكدر
صرخات في الأعلى تناديني
صعب للروع أن يصدع
كفاك يا عند جبروتا
آه يا أهل أن أرجع

نهاية القسم الأول

القسم الثاني

نشيرات

أنا... أنت واللون الأحمر...

استطعت البارحة أن أصطاد لك غيمة حمراء...في أواخر الغروب كانت تشرق من بعيد كما تلك الحمرة التي تقول لي أنها تشرق على وجنتي حين تداعبني بابتسامتك المشاغبة

قد أحببتَ اللون الأحمر بثوب ارتديته من أجلك وأنت لا تفتأ على أن تخجلني بهمسك: أمن أجلي أنا؟ فأشيح عنك رموشي أحاول أن أخفي بزاوية من عيني ساحتي في الغواية... أترصد ساحة لحوار تشن علي حضورك وأخاتلك بشغب الأنثى..

وتتساءل عن كرز الشفاه فأخبرك بأنه هو خمر الليالي الباردة.. فتضحك بدفء لذيذ لتلتمع على شفتي قطرة شفافة من دمعة تسيل... لم تكن أنت لتراها... بعيد أنت عن فصول ازهرار الكرز... ألمس حرقة بشفتي أمسح عنها قطرة ندى... قد أخبرتك معك تزهر شفاهي لوناً وأريجاً.

معك أغدو طفلة... تغرق في سندس عينيك فأنت تدرك أن السندس عندي ألوانه مختلفة... أحب تغيير العالم من أجلك... أسير وأسير حاملة معي صوتك ترافقني أسراب من أعمدة النور وفوانيس الغابات على كل واحد منها يرقص نورس يرمي لي بورقة خضراء وزهرة. أشكل منها باقتي ربما أنا الأنثى الغريبة التي تحب إهداء الزهور ونثرها بفضاء حضورها.

وأذكر بألم وردة تركتها هناك ذات يوم... وردة قصصت من داخلها برعمها المعطر.. ذاك شيء آخر لا علاقة لنا الآن به. ستسألني... أعلم... ولن أجيب وأنت تعلم هذا... فلا تسألني أرجوك. دعك مع أزهاري ..أزهاري الآن تحنو على داخلها. والعطر لثمة شفاهي.

أعود للنوارس.. أراقب فردها لأجنحتها وأفرد ذراعي أنا الأخرى وأدور وأدور.. لا.. بل أحلق علّني أرتفع أكثر فأكثر لأتكوم وأحط على كتفك كطائر يرتجف تداعبه بين الفينة والأخرى... أعلم أنني معك..دخلت الآن إلى ذاك النفق الصغير المخفي تحت جسر تتمادى الأزهار في انحنائها عليه ربما لتنظر بدهاء عما يحدث تحت تلك الانحناءة الجميلة لقوسه.. أرفع نظري إليها غامزة إياها... وضاحكة بانتشاء لا شيء سوى الصوت أصواتنا معا أنا وهو نضحك ونصرخ بجنون لذيذ... بطفولة أفلتت من أيدينا حين كنا ذات يوم بالمكان والزمان ذاته.. غريبة هي الحياة... غريبة... ونتساءل عما كان

وماذا لو كان... قبل أكثر من عشرين عاماً

ربما ما كنا فهمنا قيمة الألوان وسحرها وعطر المسافات وضجيج الحنين..

غداً يوم آخر... لا أعلم... قد أبقى وقد أمضي... ربما سأقفل عائدة من الجسر ذاته وتمضي أنت على الطريق السريع ما فوق الجسر وما تحته يطوى زمن... ويبقى التقاطع الذي كان ذات يوم وذات لقاء.

قد يصدح صدى صرخاتنا وضحكاتنا... وقد يخفت التساؤل.. حتى أبعد تردد

مابين تردد صوت الصدى... وتردد قرار .

ليس مجرد لعب بكلمات... بل ربما لعب بأوراق القدر...

سأكون...فهل ستكون؟

وقد أمضي... هل ستدعني أمضي؟

اخترت أن ..

اخترت أن أطوق خصر العالم بذراعي فاردة إياهما، وأنا أدور وأدور مشيرة لك بأن اللون الأخضر لرؤوس الأشجار بات قريباً جداً مني، وبأن زرقة السماء أزهرت بها آلاف من غيوم وردية.. كنت أدور وأدور.. وأنت تضحك... ضحكتك الصامتة تلك... أخذت أصرخ بفرح بأن غاليليه ما كان عليه سوى أن يراقص حبال الشمس وهو يدور معي قد نتأرجح كلانا بها كما ولعبة أطفال من ألعاب مدينة الملاهي... لكن ليس على خيول معدنية أو مقاعد ملونة.. بل على أحلام تطير...

غاليليو... العالم كرة جميلة فعلاً يطير معي وبي وحولي كصحن بيد لاعب سيرك يرمي به في السماء فيدور ويدور ليستقر بالأرض اهتزازات دائرية... نعم لاعب سيرك وصحون...

أتعلم حتى الصوت يدور... يحلّق وتتساقط من شعري ملاقطه فيأخذ هو الآخر بالدوران... بل ويصفعني على بعض أجزاء من وجهي كما خيمة حريرية تقتلعها الريح فتصفع حواف الهواء... نعم أنا الآن خفيفة بروحي كما الهواء... فلا أشواك زيف تحاصرني للبقاء والانتظار ولا حتى أكداس من صور تتوالى على الذاكرة... منعتقة من كل شيء... أحضن بداخلي إلهاً لا يفارقني... حبّاً وصفاءً حقيقياً لا ادعاء.

لاشيء أجمل من أن أرسم دائرة وجودي بدءاً من نقطة نقاء روحي لأنطلق معها كأساور كما قوس قزح قد لا تكتمل لكنها تبدأ بمكان وتنتهي بأقصى العالم كقبة من نور...

أشعر بدوخة لذيذة وأنسى للحظات أنك مازلت تبصر بي أو لعلني تلاشيت كذرات بدوراني هذا... أقول لك... لم أعد أعلم أين أنا... تضحك وتدعوني للاستراحة هناك على أقرب غيمة، وأراك جالساً على غيمة أخرى.. مادّا بصنارتك لتصطاد سمكة حلمك.. وإذ بآلاف الأسماك تطير بأجنحة من ريش وردي تسابق فقاعات ملونة... مضحك وجميل أن نلون اللامعقول.

صديقي... ألم يحدث لي أن لونت مستحيلاً بلون الممكن؟ قد حدث هذا صدقني...

لكن اللون لم يكن ثابتاً.. غسلته الحقيقة نعم... غسلته الحقيقة فانهمر مالحاً من عيني ومن روحي...

ربما كان علي أن أنتبه أنه لم يكن باللون الصافي حقيقةً...

أعود... دون أن أعود

أعود فقط إلى زبد البحر أنسج منه شالاً وأنا أعوم...صعب أن تنسج يداي بالوقت الذي أسبح به كي لا أغرق، لكن علي الاحتماء بشال أتسربل به حتى أنفاسي حين أخرج مبللة من عومي... فشمس الحقيقة يلسع لكن طعم الملوحة سيذكرني بأن الماء العذب النقي وحده هو الذي يروي .

اعذرني.. إن كنت أصبحت هنا..

حين لم أجدك هناك.. بات ملاذي هنا.

وحيدة كنت اليوم... نعم... وحيدة... كما الأمس

بل وكما الغد... لكنك... تدعوني... للانتظار.

يا لهذا الانتظار!

وحيدة... ما بين لونين... أخضر وأزرق....

أرض.. سماء.... وماء.... لكن السماء كانت تمطر هناك بعيداً

عني... كانت زرقاء وتمطر على الأزرق... على البحيرة

أو ربما كانت رمادية وتمطر على الرمادي من سطح الماء... ربما

لا أعلم أكان رمادياً ما يراه قلبي أزرقاً؟ حين كنت... حيث كنت أنا أسير... لا أنت.. فأنت هناك

أسير... مؤلم هنا هذا اللعب بالكلمات

ما بين أسير... وأسير... الاختلاف ليس فقط بالفعل.. والمعنى بل.. بالضمير...

لا... لا تقلق أنا هنا أقصد ضمير الفاعل... لا غيره .

كنت أرجو المطر أن يهطل حيث أنا... لكن حتى المطر أبى... فبقي كل شيء هناك...

وكم للتساؤل أن يمتد حتى هناك ..

تقول أنك أحببتها كثيراً...

لا أجيب... تعيد وتكرر... لا أجيب...

تشكرني بألم الاستغراب... أقولها لك الآن... أستغرب ذاتي أكثر منك....لكنه ربما ثأر الزمن... يعيدك إليّ... ليبعدني عنك.

ستحب كل شيء تلا ذلك أكثر وأكثر... ستفهمه الآن أكثر.. ستعيد قولها مراراً... ولن أجيب...

فلتحصِ عدد سنين كانت... كنتُ أرددها أنا... بكل يوم.. كان اسمك يسبق أيَّ اسم أو كلمة على شفتي قبل نطق ما كان عليَّ قوله... في وقت كان ينبغي علي الكلام.

فلتحصِ عدد المرات التي كنت أتلعثم بها حين يقتحم اسمك جمل الكلام وصورتك ازدحام الأماكن والظلال والأشكال. بعيداً عنكَ... وأمامهم.... فلتحصِ معي.. مرات السؤال... لماذا؟

فلتحصِ معي تلك الأصوات التي كنت أحضنها بأذني وأنا أحاول سماع ما يشابهها بطرطقة أصابعي على سطح طاولة خشبية... فلتحاول أن تفهم ما معنى أن تبحث بجنون عن لحن بذاته دون غيره.. أن تستحضر معه ضوء شمس في زمن معين.. من خلال تناوب ظل ونور عبر درفات نافذة خشبية... حاول أن تفهم... ما معنى أن تشعل شموعاً لها الألوان ذاتها وتعكس خيال لهبها على جدران حتى ما عادت هي نفسها موجودة! فلتحاول... فلتحاول...

أن تفهم مامعنى أن تدعك بأصابعك بألم قشرة مغلف حلوى قد تاهت معالم لونه بانكسارات... حاول أن تفهم مايعنيه أن تمد بأصابعك إلى الهواء لتحضن حبات مطر وأنت مغلق عينيك... وصورة لنور فانوس الشارع يغازل بضوئه رقصة حبات مطر مشاغب. تتكسر حيناً على أطرافه، فأجدها انتثارات لعالم من دهشة تتفجر نوراً... تخيّل كم مؤلم في العتمة أن تلاحق بعينك ضوءاً أحمرَ لجذوة سيجارة.. وتراه يمضي بعيداً -رغم صغره- بنقطة حمراء كنت أجده عالماً كاملاً من شغف أحمر... لو تدري مامعنى أن يصل الشغف إلى تلك الدرجة اللونية؟!! ولن تعلم.. لن تعلم وإلا لما كنت تشكرني الآن معاتباً بألم الاستغراب لن تعلم لأنك مافهمتها يوماً... تفهمها الآن وتقول أنك كنت تعلم..! غريب أن تقولها وتعيدها بحنين!! ألا تعلم أن الحنين قد طبع بأختام السفر..؟ ألا تعلم بأن الرحيل كان قد صندق معه ردود أفعالنا وحفظها بصناديق في أمكنة شديدة البرودة.. قالوا يومها إن مابها سيكون سريع العطب... قد كان فعلاً سريع العطب...

تقولها بتذكير تعتبره محبباً... إنها من السنين...

أبتسمُ... بشفقة كنت أقولها لك

كنت ترتبك بألم وتتجاهل..

الآن تقولها لي... أصغِ إليها بتجاهل الآن... امضِ... استغرقت أنت وقتاً طويلاً لتفهمها

إلا حقيبة سفر... قد قلتها لك.
ولكن... كانت فعلاً حقيبة سفر.

أمسكَ بالألوان.. خطَّ وجهَ المهرج.. رسمَ دمعةً.. رسم ضحكةً.. رسم زهرةً... تمادى في طلي الأبيض.. تمادى في طلي الأزرق.. الأصفر.. البرتقالي ..المربعات، الأزرار، الأزهار تمادى.. وتمادى... وتمادى إلى حدود ذاك المدى عانق مصباح الشارع...

ألقى بحذائه المثقوب بتلك الحفر المليئة بالماء.. سار برؤوس أصابع قدميه... فوق الأحجار الناتئة... داس على علب السردين الفارغة... وقشور البرتقال.. وأعقاب السجائر... حاذى جدران الشارع القذرة المشبعة ببول المارة السكارى... أطفال يستنشقون بقايا علب الشعلة والباتيكس.. نساء عريضات الأرداف تتمايلن بغنج مزعج... أرتال صعاليك الليل... مواء هرر جائعة... بعض من غسيل وحدته الألوان الخانقة على حبال بين جزء من بقايا نافذة مكسورة وعمود كان ذات يوم يحمل شارة موقف... سيف بلاستيكي أصفر.. ربما من أيام ألعاب الآباء... يضحك وهو ينحني لالتقاط بقايا كتلة طينية مطلية بالذهبي مع دوائر حمراء بالكاد تبدو ظاهرة "دربكة" ترن بأذنه أصوات ضحكات قادمة من زمن آخر... يفتش بذاكرته عن تلك المساحة الفارغة... عن ذاك المكان... خليط عجيب تتشابك الرؤى فيه بامتدادات بعيدة عن التفسير... سوى عن أن الاختناق هو الوحيد الذي يجمع بينها، ما زال يحتاج الأحمر.. ينقصه الأحمر..

يسير... ويسير أو ربما كان ما زال واقفاً تحت عمود النور ذاك.. لم يعد يسمع سوى ارتطام خفيف لحبات المطر على سطح ذاك المصباح وتناثرها بشكل انفجارات جميلة لذراتها...

يحتاج الأحمر... الخطوط السوداء.. حول شفتيه.. تبدأ بالانسياب بشكل عشوائي.. مازال يحتاج الأحمر... يشعر بحرقة في عينيه.. وضجيج ارتطام حبيبات المطر أصبح أبلغ من أن يطاق...

_كانت تصرخ بأنها جائعة

_ "سندويش فلافل عمو" فقط.. هذا ماكانت تقوله

_يقولون انتحار

ترتفع أصوات أخرى ضاحكة..

_هناك... في دار الياسمين...سيحضرون المطرب إياه

_الحفل... مع الأراكيل والطعام رائع

ينحني ليلتقط بقايا لفافة تبغ رمت بها صبية قبل صعودها السيارة يعود ليرميها بحنق...

_ الجوع كافر.. يقولون.. فقدت أهلها بالقصف...

يهرول... يهرول

يمسح بطرف كمه زوايا فمه المخطوط

يتذكر... اللون الأحمر... عليه أن يشتري اللون...

يشعر ببلل يغطي وجهه.. وصولاً إلى شفتيه... مذاق مالح، مذاق مالح... يدرك أنه كان يبكي... يبصر دكاناً لعلب دهان مرصوصة... يتوقف... يتسمر وما يلبث أن يقرر.

يخرج حاملاً علبة دهان أحمر وريشة، يأخذ برسم إشارات × يبدؤها على وجهه ومن ثم كل ما تقع عليه عيناه... الجدران.. الأعمدة... الأرصفة... السيارات.. والمتأنقين من المارة...

العالم بات ابتسامة مهرج بشكل حرف ×

ليس لأن...

ليس لأن العالم بات مجرد اختزال لحقيقة مفادها... أن الوجود ما هو سوى العدم...

ليس لأن الكون بات أضيق من الاحتواء... وأن القلق هو حد مقصلة عملاقة قادرة على أن تمارس سادية حزها على عنق الروح...

ليس لأن الروح باتت أكثر من ملموسة وخرجت من نطاق المجرد بعويل..

ليس لكل هذا... لكن لأن الحرف بات شوكاً يخز العين إن يُقرأ... ويدور ويدور كحصاة تجرفها ريح عاصفة، صعب أن تستقر... بل بات كثوب يطفو على سطح ماء وصاحبه يغرق ويغرق... لا شيء قادر على أن يزيل هذا الاختناق.. لا شيء...

في الفزع صعب أن تقهقه...

صعب أن تدمج صورة مع صوت مغاير...

صعب أن تحاول شم برعم نبتة في قاع بحر.. بعض الأشياء مختومة بقرار صدورها أن... لا بـ لاءات... تمتد كسوار مكسور ومسنن على أطراف الأفق... صعب أن تجد منها منفذاً كبوابة... لتنسل منها إلى ما وراء هذا العدم...

كم غريب أن يكون للعدم شكل قوام عجيب يعيد من جديد إلى لحظة العمى الأولى...

أن تشعر بثقل العدمية...

تستغرب... لكنك تفهم أن لمعنى كلمة كفى.. لايمكن لأي قاموس أن يفسره فعلاً... كما ينبغي.. كما أنت تشعر بها.

الطاقة... القدرة... لكل شيء نسبيته...

بعض النسبية، يكون بغير حسبان.. لا تستطيع أن تقارن أن تقيس... أن تزن... أن تفسر... أن تحدد.. أن.. وأن... وأن...

ليس مهماً إن كان بركان كيلاويا أو إتنا... ليس مهماً أن تعلم أيها الأقدر... هو فقط هذا الكمون الذي لم يعد بالإمكان ضبطه أكثر...

إليك... ذات يوم من زمن يغرق

اخترت له الغرق نعم فاعذرني... هناك حيث الأزرق يجاور المدى كما التصالب.. على الأقل كما نحن... عن بعد.

خطان ما عرفا الالتقاء بعد... رغم الانتظار .. وأتساءل إلى متى يبقى الانتظار؟

أتعلم شيئاً؟ كقطارين نحن... لن أقول خطين متوازيين لا... بل نمضي كلانا كقطارين نتجاور بالسكة ذاتها... مضحك هذا... لكن نعم نتجاور.. رغم الاستحالة نمضي كلانا أرانا نمضي نسبر دخاناً وغباراً وأمطارا... وقليلاً من الشمس... أبصرك وتبصرني بلا صمت.. بل بكل الضجيج.. أسمعه بكلينا

جريئة أكثر أنا!!؟ ربما

لكني أعلم أننا في زمن اللعنة حيث ماعاد من موجب للصمت... كنت أهمسك وأدعوك لتصرخني... ماعاد الآن من فرق ما بين الهمس أو الصراخ... كلاهما إعلان... دعنا... لا نجعله عقيماً

اعذرني لم أكتبه على دفترنا... مازال الدفتر تحت وسادتي... ومازال اللون... لوننا... كنت أمسك بالدفتر طويلاً وأحدثه بالكثير.. وأخشى أن أكتب..!

كتبتُ نعم.. لكنني مازلت أخشاه هذا الدفتر... واليوم أكثر من أي وقت مضى

أعلم أنه لن يصلك... إلا إن طالبت أنت به... إن طالبتهم... لا أحد يعلم أنه أنت المقصود به...

تجيد أنت قراءتي... تحديداً... أنت.. يا أنت

رغم السكون والغيوم إلا أن آلاف من أسراب الطيور ظهرت بغتة الآن محلقة فوق سماء ستوكهولم.. أستغرب... هي الدهشة الجميلة المشوبة بحزن... ربما تراها مغادرة إليك... لا أعلم أين تحديداً... لكن هي لديها القدرة على التحليق.

هل استطعنا يوماً أن نحلق فعلاً؟ لا أعلم... ربما كان ذاك التحليق الذي لم يكتمل... أحتاج جناحاً آخر... وجناحي بعيد بعيد... ربما تضحك أنت الآن لو رأيتني أستدير فعلاً وأنا أتلمس كتفي.. أمرر بيدي على كتفي أتلمس ريشاً من لون لم يخلق بعد...كنت أرجو تلوينه بوجودك...

أنت لا تعلم أن لحضورك انعكاس على روحي... فمابالك على جناحي... ستتلون بأنفاسك كل ريشة منه... بلون لم يخلق بعد... دعك من درجات اللون.. نغيرها كلانا... صدقني لن تكون مجرد درجات لونية.. ههه

سنختبئ تحتها بين لون وآخر، وننبثق من جديد كما صرخة الوليد... في المرة الأولى سيكون عالمنا العجيب أناديك إلي.. مابين لون ولون ومابين ريشة فأخرى... ومابين المسام... إن تدرك ما معنى الاختلاء بالمسام... ذاك الحضور الجميل... كما بوابات النور... لنكن حراس النور لو شئت.. لن ندع أيدي الظلمة تطاله..

شجرة لوز مزهرة... بها أنت... ثمة لون منك... تعرفه أنت إني أحبه... أراها بطريقي الآن شجرة قد أزهرت وتحت جذعها بقايا من جليد ليلة سابقة...

قد أزهر الجليد.. هل تعلم؟ أزهر الجليد انتظاراً... وافتر ثغر الشجر قبلات من زهر اللوز... ما أروعه!

حمقاء أنا... ؟ ليكن... أحتاج قبلة... من زهر لوز...

أقترب.. أتمطى.. أمسك بغصن من هاته الشجرة أقربه بأزهاره على وجنتي وأنحني به... على شفتي... مازالت بقايا من قطرات المطر تسبح على أجزائه.. أضحك بشغب وشقاوة وأفلت الغصن بسرعة من يدي فتتناثر حبيبات المطر على وجهي وكفي وعنقي ومعطفي... يا للجذل...كما لقبل المسافر البعيد

تلثم الروح... مازال القطار بعيداً... والمدى أبعد فأبعد..

وأنتظر... صوتاً... حرفاً... نجمة.. شعاعاً... نوراً.. صفاءً.

نقطة من نور..

وكأنني أبتدع لنفسي إلهاً من ورق، أغمسه بغراء، آخذُ برميه بنثارات من حروف سبق لي أن مزقتها... تتوضع في كل مكان من أجزائه... أهيل عليه عشقي شغفاً أزينه بدمدمة من همسي.. كما لو كان بخوراً... من لحن... أقترب أداعبه بترتيلة رجاء.. عله يفهم سر الاختفاء...

أناديه...كما الجذوة تدفئني في قارس أيامي وأمكنتي...

أطبق عيني... فلا شفق سواه... يتعملق ممتداً فارداً ذراعيه محتضناً ذاك الآسر أبداً... .ذاك المدى... يصفر كما لو بخط صوت لناي... يدور ملتفاً حول الحياة... كلها.

ينثر فوق البحار والأرض... وشعري... بتلات لزهر أبيض..

فأسبح بها وأرتقي ملتفة بشال من هيولى الذهول...

يصقل روحي أشعة من حب... أتسربل بها... وأضحك... بارتياح...

أدور بناظري عن أشباه الأنبياء... لم ينبثقوا بعد في تلك المهاد... ربما كانوا في صلاة اختفاء... فأنتظر.

أفرد ذراعي إلى أقصاي... وأرتفع...

وأمسي بعيدة بعيدة... كما الحقيقة...

يغزوني حلم بغيم... ودفء... ومطر... واحتضان لطمأنينة.

أبتعد أكثر فأكثر... علَّ السحاب... يطويني.

وأترك ورائي... فقط بعضاً مني... ربما... نقطة نور... تسبح ولا تنطفئ.
خطى... تكات ساعة
صوت القطار... تكات الساعة.. . خطوات على الدرج
يخفت الصوت.. يرتفع آخر، تزداد ضربات الساعة
تتحرك بجنون... أكثر فأكثر ..هو الزمن مازال رصيناً
يعرف كيف يسير على ناصية العمر برصانة
لكنها هي الساعة... تباً لصوتها لدقائقها وثوانيها
يعلو الصفير من جديد تتابع الخطى صعودها
تنضم حبيبات المطر تريد أن تشارك... أصبح الكل
متآمراً... إيقاع آخر متسارعٌ ينضم لسمفونية الجنون
المتعبة... الصوت أعمق أعمق تختلج وجناتها
تمتد يدها إلى اللاشيء تمزقه... هو الغلاف علّها
تنزعه عنها أحاط داخلها... هناك حيث تستقر لؤلؤة
سوداء تأبى أن تغادر... تتوارى خلف الستائر
تنفخ بأنفاثها على الزجاج تريد أن ترسم الضباب
كثيفاً كثيفاً... يا للغباء... ما كان له أن يمنع أذنيها
من أن تسمع... تتداخل الحواس معها تريد أن تخفت
صوتاً بدخان وأن تلثم شعلة حمراء لسيكارة تتحرك
مقتربة من بعيد تشعر بحرقة في شفتيها تقترب
من الشرفة تفتح مصراعيها تندفع بكل ما فيها
تستدير، ترجع بشعرها إلى الوراء، تميل أكثر
فأكثر يؤلمها انحاءها... تفهم... تضحك لا يمكن

أن تهوي هكذا مستديرة منثنية إلى الخلف.. لا
تنتهي هكذا لن تسقط... أدارت بظهرها لم يمسها
إلا حبات المطر تبلل جسدها
والتصق بها ناداها
اختارت أن... تدخل ... تغلق النافذة والشرفات
تغلق عينيها على تلك الجمرة الحمراء الصغيرة...
هي لا شيء... لم تكن شيئاً.. قد تكون برعماً قد سقط من
عل.. تدندن برعم توهج كنيازك السماء لا شيء
هو لا شيء. توصد النافذة تفتح بوابة الساعة تسحب
منها تلك القطعة المزعجة يا للرتابة... يا للأرق
تسدل ستاراً موارباً... تعيد ترتيب ثنياته تلتف
بالساتان البارد مرتجفة.
تبتعد الخطى... يغرق الشارع في الصمت.
قد كنت... معي

أجمل حلم كنت فيه البارحة، كنت معي طوال الوقت في الحلم كان المكان غريباً على شاطئ رماله بيضاء وكان ثمة صخور رمادية زرقاء ملساء جداً وكأنها تماثيل من مرمر صقيل.

كان في البعيد ثمة أضواء تبدو واضحة رغم أن السماء كانت بيضاء مشربة بالرمادي الخفيف، ومع هذا كنت أرى من بعيد تلك الأضواء التي توضع بمدن الملاهي كنت أشاهد تلك الدوائر المزدانة بالألوان وهي تتحرك بكل الاتجاهات ورغم بعد المسافة إلا أنني سمعت صوت الضحكات، فقد كنت معي..

حتى صوت الأوكورديون الذي أعشقه كنت أسمعه من بعيد وأرى وجه العازف الغجري، وأسمع صوت ارتطام النقود المعدنية على منديله المرمي على الأرض.

كان كلما كحلم الأطفال ربما، كنت تحيط كتفي بذراعيك وأنا ألفهما حول عنقي أكثر، وأحاول شم عطرك منهما، ذاك العطر كنت أسمعك تهمس لي جنتي وأكاد أن أشعر بلسعة حريق يرافق أنفاسك بأذني مدغدغاً إياي بعنقي... الذي تخيلته ربما على كنزتك الزرقاء التي أحببتها.. إن تذكر.

كنت أسمعك تهمس لي جنتي وأكاد أن أشعر بلسعة حريق يرافق أنفاسك بأذني مدغدغاً إياي بعنقي...

لا أعلم كيف ظهر فجأة مخلوق غريب كحورية بحر، لكنه ليس بالأنثى ولا بالذكر، لكنه مجرد كائن كان يستلقي ضاحكاً قرب صخرتنا الزرقاء الرمادية.. ربما بعض من فنتازيا الرؤية

ربما حيث لا موجب للواقع... حيث للآلهة أن تمارس بعضاً من دعاباتها.

نهضت ساحبة إياك معي، فالتفت على ساقينا آلاف من سوق الجبسوفيل الأبيض، وكانت تتسلق السماء، وتجعل من نفسها شبكات من غيوم من نجيمات الجيبسوفيل التي أعشقها.

ابتدأ المطر خجولاً رقيقاً عذباً بحبيبات ملونة وكأنه يستأذن بخجل غيمات الزهر أن تفسح له طريقاً ليتسرب وينهال على شعري ووجهي..

كنت تنظر بغرابة... وأنا أضحك... أقول لك هي أمطاري أنا... عطرة لؤلؤية ملونة... أستحضرها متى شئتُ.

أضحك وأدور علني لجنوني أجد منها حبة مطر بحجم قبلة شوق أضعها على شفتي لتنهلها كنجمات صغيرة... بطعم البنفسج... تدرك أنني أحبه؟

تدرك... أعلم أنك تدرك هذا .

كنت أرفع يدي وأكور كفي كما لو صدفة صغيرة

وأجمع تلك القطرات أشمها، وأفرد أصابعي على شعرك وجبينك، وأنا اقول لك سأحممك بعطر هذا المطر ..

أخلع عنك كنزتك الزرقاء المبللة، وأعصرها..

أخلع عني كل شيء وأرتديها... أرتدي... زرقة سلامي الداخلي... أنظر بعينيك... أعلم أنني أجده بهما... بهما حضن لي واحتضان كان ما بعد احتضاري.

وأسرع إلى البحر وحدي... حين التفتُّ لم أرَك... نزلتُ وحدي إلى البحر

كان بارداً جداً.. بدأت أجمع زبد أمواجه، وأتلوى بها، فترتديني كشبكة بيضاء... أدور وأدور أكثر فأكثر فتلفني كرداء أبيضَ مزخرفٍ.

أصبح بها كما لو كنت داخل الشرنقة، ولا تلبث أن تطبق علي فأهوي وأهوي بعيداً بذاك القاع المالح...

رغم هذا الفرح رغم هذا الغرق رغم اللون رغم الصوت رغم كل شيء كنت أشعر بطعم الملح بشفتي بلساني... كنت أشعر بوخزات تلك الأسماك قبلاً على صدري على جبيني على شعري... لأفتح عيني بعدها... أتلمس ملحاً على جفوني... وشفتي... وزاوية من مخدتي...

نسيت أن الجيبسوفيل لا يصعد السماء... فقط يصفر ويذبل.. ومع هذا أنتظر.. جيبسوفيلا يعانق جسدي ساحباً إياي إلى أعلى ما يمكن... حيث الشغف والأمان .

ارقص مع الكون... ليس لكَ سواه

أختزنهم حباً بدمي، ترقص بهم أوردتي، تحضنهم دفئاً وهوى، أمدُّ يدي إليهم احتضاناً، أربت على آمالهم، وأرتشف آلامهم. يتكاثف وجودهم بداخلي تمرداً لزجاً يتمدد بقسوة ليسدَّ منافذ الروح، أصرخ ألماً دون صوت ويزداد الضغط على قلبي لو أستطيع فقط أن أتخلص من هذا الألم ثمة مايضغط أكثر فأكثر على شراييني أودُّ لو أزيح بعضاً من منها لأرتاح. أتنفس بعمق أحاول أن أتجرع هواء، تتطاير أمامي وريقات صفراء يا للخريف! أذكر نعم أذكر أني أهديتهم ياسمين الأيام وذروني للخريف أوراقاً أتناثر خلفهم يبعثرون بي ما تبقى من رجاء.

أسير وأسير، أدفع بقدمي أوراقاً خريفية أراقصها بإنصاف دوائر، أدفعها وأتراجع عكس الريح لتبادلني الرقص، تعود إلى قدمي، ألتف بسرعة فاردةً شالي، أناورها لتلتقطها أطرافه، يداعبني حفيفها وتمر ورقة حمراء على طرف شفتي فأشعر بها قبلة أرتجف لها جذلاً. أنحني أرضاً أجمع بعضاً من باقات لون، أصادق الآن الأوراق، تذهلني ثرثرتها إنْ حطتْ على الأرض أو احتكت بمثيلاتها، إن لامست شعري أو وجهي لكل حالة همس مختلف، لها ثرثرة الصبايا

إن تحلقت أو بوح العاشق إن همت هادئة على حضن
الكرسي تحت تلك الشجرة . في هذه العزلة أروم إلى
مصادقة الصوت فقط لو لي بشيء من الموسيقى
أستحضرها بذاكرتي أصبحت أكثر حساسية تجاه أي
همس حتى بت أترجم الأصوات لغة كفاني ما سمعته
سابقاً من البشر أن لي أن أسمع موسيقى الكون
لطالما حجبت المدينة عني ذاك المدى الآن أصبحت لعيني
القدرة على احتواء العالم بكل إهليلجيته كعدسة محدبة
وأن أستلقي أرضاً لأكومَ تلك الزرقة وأزركشها بالأبيض
كيف شئت دانتيللا يتداخل بها الوقت ملوناً إياها يشربها
بالحمرة أو الأرجوان ، أشعر الآن بقربي أكثر من صديقي
الله لا أعلم لم أشعر بوجوده كانسكاب لشلال من نور من
الفضة المذهبة حضور يمتد بخفة وجلال يزيح جانباً من
السماء ويتربع تألقاً حسناً هذه أنا بما أشعر ولينعتني
البعض بالجنون وليوصمني الآخرون بالكفر لكني أشعر
بحال من غزل إلهي دافئ فيه ابتسام الخالق لخلودي
إليه . أشعر بانتمائي هكذا للحياة أكثر أجلس أمام بحيرتي
أمد يدي إلى النار ألامسها بشغف أبسط راحتي إليها
بسلام أقبض على حبيبات التراب.. أنهض أقترب من
البحيرة أغوص بقدمي بها حاملة معها غصناً مشتعلاً
بالنار وبيدي الأخرى حفنة من تراب أسير داخل الماء

يا لبرودته، لن آبه هو خدر لذيذ... أذرو التراب على سطحه، أحرك يدي أدعو بها الهواء لمشاركتي طقسي أحرك النار على وجنة البحيرة يتوهج سطحها بالحمرة الخجول ويتكسر النور كخصلات شقراء متناثرة على سطح أسود.

أتواصل مع الحقيقة... مع الكون ... مع أصل الحياة

ماء ..هواء... تراب... ونار... سكون ..ضجيج

يتخلى عنك الجميع وتعود من جديد كما أتيت وحيداً وحيداً لأتابع رقصتي مع الحقيقة مع الكون.

صَدَفَة

أمرر بيدي على حبيبات الرمال.. أتحسسها.. أتلمس حرارة.. أتمنى عبثاً وجودها.. لاشيء سوى البرودة... هنا الشمال القطبي... برد قارس يغلف الحلم بشرائح من جليد شفيف يتواطأ بقسوة مزرية مع بقايا ما تبقى من الآمال، التي باتت واهية ليجعلني أرى أشكالاً لأيام قد كانت بشكل شرائح كسلايدات متوالية مغلفة بصقيع يجعل الرؤية صوراً ضبابية مبهمة ممتدة بتوال مؤلم على شاشة بحجم البحر والسماء.

تعذبني هذه الصور التي ما تنفك تأخذني وهي تنسحب بشكل سريالي بطيء لتغوص في عمق بحر ستوكهولم الرمادي الذي سرعان ما سيؤول لونه أبيضاً ناصعاً بتجمده....

أرتجف.... أسير... وهل لي إلا أن أسير؟

لا شيء يُنبئُ عن الحياة إلا هذه الخطوات... ربما تآخياً مع بعثرة هذا العصر الجنوني أصبحنا روبوتات تحرك بإشارة... امضِ... ولا أقصد بها ذاك الإمضاء التعس الذي كان آمراً واقعاً بحينه... بل أن نمضي بالمسير دون إدراك... دون فقه لما جرى وما يجري... فقط... أن نمضي... صامتين... مذهولين... بل وربما أيضاً.. زاهدين..

لا شيء يستحق.... ربما.. قد كان سابقاً...

لكن الآن...؟

لا أظن.. غجر القرن الواحد والعشرين نحن... نعم.... نحن... هكذا.. بقرار يلغي كل ما كنا عليه من قبل، وتبرز أمامي ملامح ذاك البائع الصربي وهو يحدثني بالسويدية قائلاً باعتزاز أنه صربي، سائلاً إياي عن جنسيتي ومن أي بلد أتيت

_ عربية...

ينظر إلي بحقد مستهزءاً ملتفتاً إلى صديقه محدثاً إياه... بلغته الأم.... يلتفت الآخر إليه وهو ينظر بوضاعة متمتماً بما يبدو أنه شتائم...

_ أصرخ بألم.... أقول إنني سورية من سوريا

تتردد إلى مسامعي.... كلمات.. لا تترجم.. تبقى على حالها.... عرب.... إسلام... يعيدون تكرار هاتين الكلمتين

اللعنة على كل من شوه وأساء اللعنة على كل من خطط لهذا...

أنظر... بحيرة... بشيء من الضعف أقول

_ عربية... سورية... وأردف.. مسلمة

أرمي بكيس الفاكهة... أستعيد توازني من جديد... مايرونه وما يعتقدونه ليس هو الحقيقة...

الحقيقة ها هنا بقلبي وبروحي كما نشأت وتعلمت وآمنت.... قبل أن يشوهوا ويتآمروا ويتفقوا ويختلسوا

الحقيقة.... ليس ما يريدون تشويهه وليس مايريدون إلغاءه فينا..

أعود إلى ذاتي... بقوة، أنظر بثقة أقول بصوت عال وساخر: عربية، سورية، مسلمة... لكن بكل نقاء الإنسانية، لا كما يريدونكم أن تروا.

أسير بعيداً بعيداً... لا شيء أصدق من الطبيعة.

أضرب بيدي بحنق على الرمال... يتطاير بعضها على عيني...

أردد ببلادة أو ذهول ربما... وأنا أفرك عيني

قذى بعينك أم بالعين عوار

كأن عيني لذكراه إذا خطرت

هي العبرة وقد ولهت....

كلنا أمسينا خنساوات... نعم.... كم من صخر نذكره.. كل ما نذكر يخرش الذاكرة والمآقي.

أنهض من جديد... أقهقه... وأنا أردد لا بد لنا من أن ننهض... ستعود... (بلادنا)...

مضحكون نحن إلى حدود الغباء.. الأطفال مازالوا يقتلون... وتستل منهم أعضاؤهم... وتقطع رؤوسهم... هناك... في حلب ... ومؤكد في غيرها أيضاً... لا بد للسلسلة أن تكتمل.. لتشكل خارطة جديدة.. ألا تباً لكل شيء.... ونقول ستعود.... انتهت.... لا بل نحن من انتهينا

يا لهذا التردد والتردي في مغابن الحيرة.. أين نحن الآن.....

أمسك بصدفة..... أقلبها بيدي.... أمرر أناملي على خطوطها الحلزونية دوائر متاهة لم تكتمل

أو ربما بترت ماقبل الاكتمال... كما أرواحنا...

أقربها من وجهي... أرفعها إلى مافوق رأسي ينهمر منها بعض من رمل كان قد استقر في جوفها بين تلافيفها... ينساب ببطء لذيذ على وجهي.... أحس بنوع من السكينة تربت على وجنتي وجبيني تستقر بعض حبيباته على أطراف شفتي وأنتبه إلى أنها التصقت بها وكذلك على وجهي متخذة شكل خيوط... لاريب أنني كنت.. أبكي.

أرفع تلك القوقعة إلى أذني أبعدها.... ثم أدنيها من جديد.... قد سحبت ما أحاط بها من هواء وابتدأت تهامسني بموج ينتشلني بعيداً بعيداً إلى حيث البداية.... في ذاك القارب في رحلة كرحلة المقلة بين جفنين أحدهما حياة والآخر موت... كم همست وهمست صدفتي هذه... كم أخبرتني عن الزيف وعن الحقيقة.... كم أحسست بها

تتغلغل بصوتها بروحي... كأنها سحبت كل ما في محيطها من وجود ولخصته بهذا الصوت.... كأنها استنشقت الكون ونفثته بداخلي كزفير يعيد تحريك روحي من الداخل لأنتفض من جديد وأستعيد أنفاسي... سكبت بداخلي روحاً جديدة... خلاصة الإنسان جزء من كون والكون كله بداخله...

بعيداً عن كل التلوث في الحياة... يبقى لنا الوجود بهذه العلاقة الفردية الخاصة... حيث الانتماء الحقيقي لهذه الوحدة المتكاملة مابين جزء وكل....

الصراخ.. والحرب... تشويه الحقائق... تزييف الواقع... ماعدت قادرة إلا على مايمنحني القوة كإنسانة ألا وهو الإيمان بأن هنالك ثمة ما هو أبعد من المادة بكثير....

ومابين المرئي واللا مرئي... تستمر الرحلة

وراء تلك النوافذ ثمة أضواء وظلال ..

بعيدة أنا...

أعلم... لكن ثمة حياة هناك... لا تطفئ الأنوار... قليل من الظلال تكفيني... وإن خفت الضوء...

لا تطفئه...

سيكون كما القليل من الشمس في المياه الباردة

دعني أنا من تغادر... سأغلق نوافذي قريباً وأغادر

لسعة الثلج ستناديني لأمضي إليها... بعدها... لن أحتاج شمساً أو نوراً... سأتدثر بالأبيض... كما الخديعة... أغوص بها... منسلة إلى ما تحت أعماقي... لأني أعلم متى سأغادر...

لذة النهايات المسافرة... أدركها بحزنها... لأنني تعودت على حياكة ثناياها على أطراف روحي حتى الآن كما الشرنقة...

أرخي أشرعتي خيوطاً... لن تراها... ستكون بداخلي...

ستمل حتماً إن سمعتها تهوي كالسياط إلى داخلي... ستمل لأنك لن تدركها... لن تدرك وقع موسيقاها كما الشجن في نينوى إن كنت تدري...

لن تدركها لأن لروحك أبجدية أخرى ترفض جميع الترجمات... لن تدرك أن النص أحياناً يتطابق مع ترجمته إن كان أميناً... لست أقصد حرفية الكلمة... بل حرفة الصدق بنقلها... .

ربما هو الهذيان... ربما هي المعرفة... بل ربما هو لا شيء أو كل شيء...

لطالما كانت النسبية هي الحقيقة المجردة كل من حيث هو... تساءل فقط تساءل عن النقطة

مسمران نحن بالنظر إلى النقطة ذاتها... لا تهم الاختلافات... ابحث عن المحور تجده نقطة الوصول

مباشر أو غير مباشر... فالنقطة ستكون هناك دائماً... نقطة انتظار.

تساءل عن قطر هذه النقطة... فقط تساءل

أنستوي كلانا على سطحها أم تنزلق ووتهوي بنا إن مادت لأي من الطرفين

فقط بعناق التماهي يكون للنقطة على سطحها وبعمقها مركز واحد... كلانا معاً.

حين يكون الموعد على سطح كرة... صعب أن لا تنزلق الكرة شكل من أشكال الدائرة... الدائرة قد تحتويك... قد تدور بفلكها بها... أو ربما

هي ما تدور بك... ..لأحدنا محيط دائرة ولثانينا أن يكون تلك النقطة بها... في زمن الإعصار... تتوه المعالم... سيكون كل شيء سيان... إن تفهمني... مابين النقطة والدائرة سيكون التماهي ما بين احتواء وانضواء ..تائهة أنا بينهما صدقني... هو زمن التعرية والاكتشافات... أن تجرد نقطة... كما وأنت تسكب قطرة وبعدها قطرات... الاحتواء يصبح امتصاصاً لا مجرد ارتشاف إلى ذاك الحد الذي تختفي به الحصاة في دوامة... وتصبح جزءاً من قاع... ممتلكة أبداً بتلك اللحظة مترسبة مترسخة... ربما... فكما قد تقولها... لا يقين...

لكن العودة إلى السطح باتت مستحيلة منذ أصبح الانتماء شكل التماهي في الحقيقة... ماكان خفيفاً يطفو... أو هشاً تأخذه الريح بطريقها يصبح له الآن شكلاً آخر... شكل الغوص... الغوص إلى الأبعد...

ما بين الكرة والدائرة كان الإشكال... واخترت أن أفهم

معنى سطح الكرة ومعنى الدائرة .. بعيداً كنت أو قريباً على ذاك السطح أو على حواف أو داخل تلك الدائرة... لن يتم المعنى اكتمالاً بدونك.. لن يتم .
ومازال للتساؤل بقية من شغف الاكتشاف...

كان للموسيقا حضور... هنالك في البعيد....

ربما تأرجحت سلالمها ما بين الرمال... أو بين الرخام!... وحدك أنت تعلم... معنى خوفي من الرحيل... إن تذكر....

هل تذكر؟.... إلا حقيبة سفر!

وحدك أنت من تعلم.... معنى الحيرة في تحديد الزمان أو المكان....

وتعلم معه سر الصمت....

حيرتي موصدة في صندوق أسود.... له قداسة

الصمت.... لو تدرك! لو تدرك!

بل تدرك..... من تلك النافذة كان البوح

كان للبوح لوناً أبيض.. بأصابع مرتجفة تحمل معها موسيقانا...

كم همساً كان.... كم توقاً كان!

أهازيجاً بلون الدخان... نراقصه حلقات حلقات

والعتمة... ضوؤها... بريق الشوق في عينيك

ولهب لفافة أحمر....

كم تناولناه زمننا ذاك كوشاح التففنا به أوله ضوء القمر وطرفه شعاع فجر.... والآن ماعدنا عرفناه... زمننا... تاه اللون في المشيب

وحده الأبيض في قلبينا.. يود لو طلاها يوماً بلون العدم.... تلك التي كانت... حقيبة سفر.

بابلو...وأنا

يهمس بالريشة.. ويصغي باللون...

وتحلو له الثرثرة بأصابعه... أصغي إليه... وأحاوره أيضاً

بأصابعي... معه... تعلمت أن أقهقه بصمت متابعة أحاديثنا مشيرة بيدي على آخر المستجدات... فيضحك... بصمت

تتسع عيناه ويرتفع حاجباه ولا يلبث أن يغمز بمكر ظريف مسائلاً إياي عن درجة لون معينة... تتحرك أصابعي لتنسج معه حواراً ضمن دائرة لها امتداد يدينا... نناقش عالمنا بأدوات تخصنا نحن الاثنان ،أدوات لها ألوان قوس قزح... ربما ابتدعت له لغة جديد أحاوره بها... بعيدة عن لغة الإشارة المختلفة من بلد لآخر

لا بأس بالإضافات... قد تغني أحياناً... أمد يدي وأحنيها بشكل قوس وأحرك أصابعي مشيرة برقم واحد أحمر ثلاثة برتقالي... سبعة بنفسجي... يناقشني باللون... أدعوه لتخفيفه أو تمديده بالماء... أرفع يدي... أناملي بسرعة أفردها وأطبقها بسرعة فوق رأسي بشكل زخات مطر .. أضيف من جديد مشيرة على الرقم سبعة. فيفهم.. ويبدأ بتمديد اللون بالماء... أشير له... مؤيدة بإشارة تعني.. تماماً... يشير بتعبير جاد أن لديه ما يقوله.. وتبتدئ تشكل إشارة لما معناه جهاز السينما القديم وتأخذ يده بالدوران... أفهم حينها أن لديه مايحدثني عنه.. ويبدأ بيننا حديث غني بالحركة الصامتة والتعابير.. يقصُّ عليَّ فيلماً سينمائياً قد حضره في الليلة السابقة.. تشدني تعابيره وانفعالاته... وأستمتع معه بذاك الفيلم المشوق... ربما ما زال يحمل معه ذاك التأثر الكبير بأفلام الجرائم والغموض... يشير إلى الكرسي المعدني يريد أن يلون إطار النافذة بذات اللون... أحاول أن أشرح له أن لون الخشب مناسب أكثر... فما كان يرسمه هو شكلاً لبيت أثري

قديم.. يفرحني أنني استطعت أن أوضح له أن البيوت بذاك العصر... لم تكن تعتمد على معدن الكروم... فيقتنع ببهجة... وأستغرب كيف أني قادرة على هذا التواصل.

يساعدني على هذا ذكاؤه... فأنا ماكنت أعلم أي شيء عن لغة الإشارة... وربما استطعت إضافة خصوصيتي عليها وشاركته بها... الغريب أن من تحاوره من المختصات المرافقات أصبحت تتفاجأ من تفضيله على أن يسر إلي بما يضايقه أو يريده...

البارحة... كنا مدعوين كمجموعة من الفنانين إلى حفل موسيقي لعازف شهير على الأورغ... لم أتوقع أن بابلو سيكون ضمن هذه المجموعة... كشخص أصم...

وجدته يسير بقربي... ووجدتني حائرة تماماً... كيف أفسر له ماقد يعنيه باخ بمعزوفته يسوع سيكون كل فرحي أو موزات.. أو حتى جون ويليامز أو إلتون جون بعالم مليء بالحياة ؟؟

اختار بابلو أن يجلس بيني وبين المرافقة.. كان يصغي بفكره... حاولت أن تشرح له... ولحسن الحظ أن الشرح صامت فلا نتعرض للطرد بسبب أصواتنا... فهمت منها أنها تشرح له عن أن الموسيقى... قديمة جداً... وأن الموسيقي هذا أو ذاك كان مهماً بموسيقاه... أحسست بضجره وبعينيه المتسائلتين .. مشكلتي أنني أعشق الموسيقى ..ولست أعني بهذا سماع الأغاني بل الموسيقى بحد ذاتها... تضمني بها كقطرة ماء في جدول أتماهى معها... ولا أتلاشى... أشعر بروحي تحيا بها كما الوليد كما احتضان الجفون للدمعة... كأنها تعيد خلقي من جديد أو تفرزني إلى حيث الانتماء... .بدأت أشرح له أو بمعنى أصح تولت روحي مهمتها... وكأن العالم في هذه اللحظة تعدى سقف المكان... وبلوره من جديد في كرة زجاجية عملاقة فقط عازف الأورغ والريح والمطر... صخور ونجوم وقمر... وأشكالاً عملاقة لأورغات و الصدى...

كم كان جميلاً ذاك الصدى.. ربما أجدت.. وربما تهت في المعنى.. لكني شرحت... أو عبرت عما كنت أشعر به... ما وصلني فعلاً

نزعت نظاراته عن وجهه الحائر... قليلاً من الضبابية يساعد أكثر في تشكيل عالمنا الكامن... أشرت له بيدي أن يلغي كل ما نراه... وبيدي الأخرى أمسكت بيده جعلته يتحسس ملمس زجاجة ماء لم تكن تفارقه... كورت يدي بشكل كرة وجعلته يقترب برأسه ليغوص داخلها... أومئت إليه أن يغلق عينيه ووضعت يده على قلبه طلبت منه أن يتنفس بهدوء ويعيد فتح عينيه من جديد ليكون مع الموسيقى المتمثلة بالأورغ ضمن هذه القبة الزجاجية

الرحمة... الحب .. الحيرة... الحرب... الرجاء...

يرتفع الصوت أموج بيدي كما الريح... يخفت... أتهادى... تدور وتصدح... أشكل بيدي شكل جزيرة.. أحيطها ببحر... وأموج أصابعي..

تخفت... أنفخ بأنفاسي بهدوء على باطن كفي... تدور الموسيقى بحنان... ألوّح بيدي أمام عينيه أمسك بنظاراته أنفخ عليها بأنفاسي... يغشوها البخار... أضعها أمام عينيه وأذكره بتلك الكرة... بالقبة الزجاجية... أشير إلى الأورغ... أومئ بيدي من جديد لتلامس باطن كفي المنحني... فينظر ببهجة مدركاً مقصدي... كم أن الموسيقى تتعالى الآن لتحيط المكان وتغلف داخله ببطانة من مخمل حنان دافئ...

أخذ بابلو يحدق في الأعلى وابتسامة طفل على شفتيه.. رغم أعوامه التي تعدت الأربعين... رسم في الفراغ قوس قزح... أمسكت بيده وأخذت أسحب من ذاك القوس من يدي الأخرى لوناً تلو الآخر.. أشير إليه أن نكور الألوان أو أن نصوغ منها نجوماً.. وننثرها بفضاء الموسيقى...

التون جون... وآخر قطعة موسيقية... وكأن قبة الزجاج قد انهمرت ريشاً أبيضاً... بدأ جسدي بالارتعاش مع تهدج أنفاسي مع ذاك الصوت الملائكي لعزف نيلز لارسون.. وكأن الدمع جزء من كورال مرافق...

عالم كامل من جمال لاتلمسه إلا الروح... حتى الأصم لروحه القدرة على الإحساس به.

ويعلو صوت التصفيق... وأنا ما زلت غائصة مقعدي وكأني أأبى الانسلاخ عن الحالة وعن المكان.. تبحث عيني عن الصدى علني أستطيع تأبطه والمضي بعيداً.. بلا همس حتى.. أمضي تحت مظلة من ثلج بحجم السماء.

أستيقظ من استغراقي على ذراعين تحضناني بشكل طفولي وعينين دامعتين تتأملاني بفرح وامتنان... يشير إلى قلبه وبفرح ويأخذ بسحب نفس طويل وهو يضحك... بصمت طبعاً ضاماً كفيه بشكر....مشيراً إلى أذنه وقلبه معاً..

تبتسم المرافقة... وتقول: يشكرك... فقد استمتع جداً بموسيقاك... أنت...

اليوم... كانت لوحة بابلو كرة من زجاج .. تناثرت فيها خيوط قوس قزح... بالتواءات.. تشبه النوتة الموسيقية .

من ناقدتي

بعيداً هناك قرب تلك الشجرة يمارس الخريف
طقوسه بجلال ترقص عرائسه في الهواء، وريقات
لوّن بعضها الشحوب وتزينت أُخراها بالحياء

تميد وتهوي على أرصفة الصباح، تتحلق حول مقعد، جليسه صحيفة تتصفح الريح أوراقها وتتطاير منها، وتتطاير منها صور أولئك الغارقين على شواطئ زوربا.

صمت لا يخلو من دندنة المطر، يقبل بنهم شفاه أوراق استسلمت على جذوع شجرة عجوز، فتكدست كبقعة تحار في لونها، تكاد تشم فيها الخوخ والبرتقال، تذهبت حوافيها؛ ما أثراها! تقبل أقدام الفقراء تستغفر منهم شقاء لم تستطع أن تسكب فيه لون بهجتها.. ذهب يطلي الأرصفة دفئاً ووشوشة.

كل شيء يدور، كحلقات الحياة تدور وتدور..

ترتفع كفقاعة تتلقفها السماء، لاتلبث أن تداعبها بعض من مناقير لأسراب سنونو مهاجر فتختفي كما تداعبنا الدنيا بقرصات مؤلمة لنتلاشى بعدها صمتاً.

أتامل بحيرة احتضنتها الخضرة فأمست بلون زيتوني غريب، حاصرتها الأشجار بظلالها،كعاشق غيور يأبى إلا الحصول على شرف احتضان الرقصة الأولى، ليتمايل سطحها ملتفاً بدوائر تتشابك مع بجعات بيضاء تدور بسحر الفتنة وتفرد أجنحة.

كل يدور كالأمل، كالإشاعة تتشابه الأمور..

تتداخل التناقضات.. تنساب قطرات الحياة بين شقوق

الصخر يزيح الهواء أوراقاً، ويترك للفراغ أن يرتشف

قبلاً من قطرات تتوضع على جذور لا تلبث أن تعلن

انبثاقاً متحدياً فارداً أذرعاً، تستقبل بلهفة أملاً وشغفاً

في زاوية ما قرب شجيرات متعانقة يتحلق أطفال حول نار مشتعلة يترنمون بضحكات بيضاء يصفعون بها برداً قارساً؛ يزيحون بها رماد الأيام وزرقة أياديهم المرتجفة.

عائدون... عائدون ..مازالت مخارج حروفهم سليمة.

مابين الضاد والحاء وحتى الجيم المعشقة تتلوى لغتنا

وتحتال لتبقى... حتى متى؟؟

أفكر هنا... في البعيد... لا نريد للغتنا أن تبقى مجرد صدى الأهل.. نريدها أن تكون هي الأهل والاحتضان.

أن نعلنها سوريا (حبيبة) نقولها بحروف نطقها يخرج

من العمق بحرقة النفس لا نقولها بخفة مع الوقت (هابيبا)

نريد أن تجترح الحروف فينا الذات والوجدان

والذاكرة... أغار عليك يا لغتي

أغار عليك... يا وطني .

يصطاد....!!

أتراه حلمك ما تحاول اصطياده...؟

أتراه ما انسكب من نور على سطح البحيرة منهالاً عليها يرتشف من موجاتها القبل؟

أم أنك تبحث بصنارتك عن بقايا أيام كانت ذات يوم تحتضن جسديكما بين طيات تلك الأمواج السارحة؟

هل جال ببالك أن تصطاد زركشة زبدها وتجمعه كباقة من دانتيللا بيضاء؟

أم أنك تلقي بصنارتك مراقصاً دوائراً من دموع مالحة...؟

أما رأيت إلى احدداب قامتك كم أرهقها ذاك البحث في الأعماق... أما أبلغوك بعد... أن الأعماق قد دفنت... بعيداً بعيداً؟

وأن ماتمسك به لن يكون إلا شبكة ممزقة قد رميت على السطح.... فتطاولت وتطاولت وامتدت.... متشابكة مع الطحالب... كمظلة الموت... مرعبة هي مرعبة... هنا حيث تتسمر مع ظلك.... هنا عند قدميك.... قد تسحبك.. قد تجرفك.... النور بعيد بعيد... تعس أنت ياهذا كلما اقتربت أكثر سادت الظلمة حولك... نعم

كشرنقة متحركة على الرمال... أصبحت مسخاً بالنسبة لهم... ماعادوا يميزون شكلك البشري...

عبثاً تحاول أن تصرخ... صوتك يحتاج إلى.. وإلى.. وإلى... المهم لن أكرر.... لن يصل صوتك.... تضحكني بألم.... تضحكني إلى حد البكاء الأبله....

المهم... لتصطاد... ربما... من يدري

الكون... ملكك.. بالوهم ربما.. فلتصطَدْ حلمك

ربما بحلمك قد تقتات قوتك...

جعلوا منك غجرياً بامتياز... ويتشدقون ساخرين بأنهم لن يساهموا في إعمار بلادك...

ناسين بأننا لسنا نحن من كنا ومازلنا نتسول المساعدات من كل الدول.... وأننا نحن أهل عزة وإباء وما طلبنا.... ولا نطالب..

معيب ما يجري... وما قيل... وما يقال...

إليك صنارة صيدك... فلتلقِ بها... الكون أعظم من تفاهاتهم....

قطعٌ من ركام

اِخْتُلِسَتِ الحواسُ

العيون لم تعد ترى إلا ما

تُمليه عليها الآذان...

والأنوف كلها... أصبحت رديفة لبينوكيو

واللسان.. لا ينطق إلا... بالثغاء

وعن الأعناق.. فلا تحدث.. من التفاتها أصابها اِلتواء..

والأصابع.. تشير بالباطل كلها... كالبصمة التي تُقسَرُ عليها.

الأيدي.. تصفق.. تلطم... بأمر أو بتوجيه أو بإيحاء.

الأقدام... خطى اعتباطية... تسير إلى المجهول.

بالنهاية أيها المواطن... أجزاؤك كلها بحاجة إلى استبدال.

عذراً... عذراً... نسيت أنه... قد جرى استبدالك.

فما أنت إلا.. قطع من ركام...

بوصلة عمياء

كالتائه في طريق أتعثر ما بين أحجار تدمي وإن
كانت مجرد حصى، ومساحات لا أعرف لها نهاية
فيها لزوجة أرض رطبة تلعق أخمص قدمي تسحبني
لأشارك أغنية التراب في الحنين
طين يطالبُ بالعودة إلى الأصل ليطويني بأحشائه
فيه كل العتمة، أخشاه هذا الأسود الدامس. أحاول
الهرب، تتطاول معه كل الأطياف السمر، ظلال تنسج شبكة.

أجمع حولي حراشفي أبوح بفقاعاتي، يثقبونها
وهم يضحكون مرددين أغنية الرحيل.
تائهة أنا، أتعثر أكثر أنحني لألتقط ما سقط من السماء سهواً.
ترتجف أصابعي، تحاول فك رموزها.
طلاسم من معدن بارد، خشب، زجاج.
كالقلوب تماماً.. أستحضر الكلمة... بوصلة
هي بوصلة... أضحك وأضحك... تضحك
الأرض من تحتي يسخر مني الطين، يفتح
أحضانه، يتمطط بمراوغة عاشق ينتظر..
أقبض عليها بقوة.. بوصلتي...

الطريق... هو الطريق... أتذكر... أحاول التفكير.
مضى زمن... فقدت معه آلية التفكير لكني تذكرت أخيراً.. اللاجدوى
اللاجدوى... رميتها بعيداً، غاصت ربما
بأحضان ذاك الطين العابث... قد تلقفها.
ومضيت... تذكرت أن البوصلة لن يستطيع
الأعمى أن يراها...
أمضي وأنا أتعثر... ويعود الطين إلى أغنيته منادياً.
بوصلة عمياء...

كان للموسيقا حضور... هنالك في البعيد...
ربما تأرجحت سلالمها ما بين الرمال... أو بين الرخام!... وحدك أنت تعلم... معنى خوفي من الرحيل... إنْ تذكر....
هل تذكر؟.... إلا حقيبة سفر!
وحدك أنت من تعلم... معنى الحيرة في تحديد الزمان أو المكان...
وتعلم معه سر الصمت...
حيرتي موصدة في صندوق أسود... له قداسة
الصمت... لو تدرك! لو تدرك!
بل تدرك... من تلك النافذة كان البوح
كان للبوح لوناً أبيض... بأصابع مرتجفة تحمل معها موسيقانا...
كم همساً كان.. كم توقاً كان!
أهازيجاً بلون الدخان... نراقصه حلقات حلقات
والعتمة... ضوؤها... بريق الشوق في عينيك
ولهب لفافة أحمر....

كم تناولناه زمنناً ذاك كوشاح التففنا به أوله ضوء القمر وطرفه شعاع فجر.... والآن ماعدنا عرفناه... زمننا... تاه اللون في المشيب

وحده الأبيض في قلبينا.. يود لو طلاها يوماً بلون العدم... تلك التي كانت... حقيبة سفر.

وجود... غموض... شك... تساؤل

يقين.. زعزعة... شك.. تساؤل

ف.. يقين... يقين.... يقين

الله... موجود مع وجودنا

ونحن موجودون بوجوده...

فقط.... ربما... ننظر

ننتظر... نمضي.... الثغرة ما زالت موجودة

بداخلنا... بوجودنا... وهناك.. باللامرئي

ربما.. قد.. من الممكن.. والكثير الكثير من الاستغراب..

هذه الخلوة مع الذات.. أساس بصيرتنا

ربما.. مع الفرح لن ندركها.. ربما فقط مع ما يمكن أن يكون من اهتراءات أيامنا وغلبتنا وتخبطنا... نمد أيدينا باحثين.. راجين.. متسائلين... بصرخة... بألم... بمناجاة... بتوسل بتمرد... بشكوى بأي تعبير... وبكل تعبير

ربما أيها الإنسان... أنت بالذات.. كل إشكالية الوجود... تتلعثم ليس نطقاً... بل تخبطاً

أعمى.. وتشق طريقك إلى النور... تمضي

ربما تمضي... محاذياً لذاك النور... دون أن تبصر

قد تقربه... أو تقاربه.. دون ملامسة... دون أن تشعر بلفحة الدفء..

بعض النور فاتر... وبعضه لاسع... يحرق

قد تسبح... قد تتوهج... قد تلسع.. قد تحترق.

اصرخ ما شئت علك.. تُسمع...

الدائرة كبيرة... كبيرة قد تفتح وقد تغلق

جارفة هي... لا تدري إن كانت تجذبك أم؟

إياك تسحق...

....rof gntiiaW

هكذا بكل بساطة العمق... كانت كلماته...

ماذا تقصد بهذا... يضحك بألم مشيحاً بناظره إلى ذاك الجدار... إلى حيث مسمار.. ومعطف...

ومقعد فارغ... وظل لامرأة...

أستدير... لا أجدها... أنظر إلى الجدار... بذهول...

يقهقه... مشيراً إلى تلك الكتلة الرمادية

بعبث تشعله عيناه بثورة.. تحاول رقاقة دمع تتراقص في عينيه أن تطفئها

نعم... رسمتك... رسمتك ها هنا... ظلاً

رسمت ظلك لأؤمن بأنك حقيقة...

ربما... لم أجد جدرانا أكثر لأنثر ظلالك عليها.. لأنثر دورانك.. بي.

ببلاهة... ربما.. أو بذهول... أُلامس بضعة خطوط رمادية.. لشكل معطف.... على جدار آخر....

يصيح بحنق هذا ليس بظل بل هو معطفي...

تركته هنا... علك يومها شعرت ببرد...

شلحات غيم وردي تهادت على شال الكون الأزرق... كخفر أنثى أعياها شوق فتربع حمرة على أسيل وجنتيها.. تسرع رماديات الغيوم لتدثرها باحتضان عاشق أهوج يلتهم ثنياتها من ليلك هنا وشقرة هناك... عاصفاً ببريق نشوة ليهطل حبالاً من مطر جامح... تغسل غبار النسيان... وتوقد زئيراً في... روحي

لم تقل لي حينها... أن البنفسج أيضاً.. سيغادر

اليوم مثلاً.. وبعد عقود... وبمكان آخر تماماً.. ومؤكد أنه زمن آخر... فما عاد لنا زمن...

أم ترانا... ملكنا الزمن؟

اليوم مثلاً... أحسست برائحة البنفسج... وأنا أصعد على درج... ضمن شبه غابة... مضحك هذا... أن تكون شبه غابة.. لكنها كانت هكذا فعلاً... أو ربما التبست عليّ الأمور فما عدت أعرف...

أغابة كانت... أو شاطئ بحيرة.. ربما الاثنان معاً...
اليوم مثلاً..

مهلاً... فالمطر يسارعني والهواء يعصف بشملتي الصوفية... قديمة هي... ولا أنوي التفريط بها... قد كنت تشد بأطرافها على أصابعك... إن تذكر....

لا لن تذكر... لكني أعدت وضع عطرك ذاته... ذاك الذي خلفته يوماً أطراف أصابعك..

ماالذي كنت أريد قوله... آه.. نعم

اليوم... مثلاً... شممت رائحة بنفسج...

أتراه أنت.. من مر.. من هنا...؟

في نقطة ما من زمن مغادر

والأجدى أن أقول عبر هذه النقطة كان الرصد لحالة... نقطة تسير على خط سير لجموع من نقاط متحركة تمثل.. إنساناً

أنظر إلى الشاشة أمامي باقي دقيقتان على المحطة التي أبغي النزول فيها

على مقعد مقابل في قطار... كانت ملامحها السوداء الجميلة... تتموج أمامي... في دائرة هي وجهها .

اهتزاز القطار... واهتزاز جسدها المتماهي في رحلة الوجود... شيء ما جعلني أبتعد عن تسمري أمام نافذة تحمل وشاح أنفاسي ألاحق عبرها أسراب الأشجار المتطايرة الهاربة من إسار النظر.. عبث مكاني لذيذ.. حين تتبادل الأشياء أمكنتها من خلال نسبية مشاغبة كرقصة للهروب مابين الأطراف المغادرة...

أعود إليها... تلك المرأة يهتز جسدها الإفريقي المكتنز مع ضحكاتها المكتومة عبثاً وهي تحاول التشبث بجهاز الهاتف المحمول... أبتسم... بفرح... أحب سعادة الآخرين.... أتأمل عينيها اللامعتين ببريق الإثارة

الدامعتين من فرط الضحك والتأثر... أشعر باتساع في رئتي.. بما أحدثته حالتها من راحة نفسية بداخلي...

تدور عيناها بخجل وارتباك، فترفع بناظرها إلى الأعلى هازة برأسها وهي تضحك... بل تضج بالضحك... لا تلبث أن تتابع القراءة في جوالها مع ضحكاتها تلك لتتقلص شفتاها بحدة وتسترخي أطرافهما وتعود لتفتح عينيها بأقصى اتساع بحالة من الصدمة، تتلمس وجنتيها التي كانت قد تلمستهما سابقا لفرط انفعالها على الأرجح أن تلك الحرارة التي كانتا تشتعلان بها قد انخفضت إلى درجة قوية... لا أعلم كيف أحسست ببرودتهما رغم عدم ملامستي لهما بل وحتى رغم لونها الداكن كيف استطاع الشحوب أن يعلن سيطرته على شفتيها... أخذت تعض عليهما بألم وانكسار تآلف معه جفناها وحاجباها لينخفضا برقة حزينة تحت جبهتها المعرقة

تدمع عيناها من جديد.... تأخذ بمسح جفنيها بباطن كفها ذو السمرة الخليطة بالحمرة والزرقة اللامعة تنكمش عروق يديها على منديل تحاول به بغضب أن تمسح سطح جهازها المحمول... غير مصدقة... لما تقرأ... تحاول الكتابة بارتجافة أناملها فلا تقوى... تتهدج أنفاسها... وتنتفخ أوداجها... تتلفت بحيرة... بنظرات لا تلوي على شيء.... يرن الهاتف تأخذ نفساً عميقاً تحاول الإجابة بغصة... يبدو صوتها غريباً لأول وهلة ولا يلبث أن يظهر متمكناً وواثقاً بمحاولة منها للتماسك... لا تلبث أساريرها أن تصبح منفرجة ليغرد صوتها بعدم تصديق وتسترخي أنفاسها وتنهمر دمعة من عينيها بحنو وفرح.... من جديد.. من بعد جذع وانكسار وغضب..

أسمع صوتاً يعلن الوصول إلى ستوكهولم تي سنترالم.. مرت الدقيقتان

دقيقتان تجمعت فيهما كل الانفعالات الإنسانية في كائن واحد.. في إنسان واحد... هو هذه المرأة.... ما أروعك أيها الإنسان

فعلاً... (وخلقناه في أحسن تقويم)

عالم كامل.. أجمل خلق الله.. الإنسان

يتماهى مع الكون كونه جزءاً منه، ويحمل بذاته قاموس الخلق كله بل وقاموس البشرية

الإنسان فقط... يحمل كل هذا بذاته....

فقط..... لو..... أنه فقط..... يحفظ إنسانيته

ويكون صورة حقيقة عن النبل وعن الخلق وعن روح الله....

مدرج.. ومسرح.. صياح.. تهليل... صراخ... صهيل وجمهور يحمل صافرات بيد وبأخرى حبلاً يتدلى منه يويو.. الحركة... اهتزاز... تأرجح... ممتع ربما! مثير؟ بل ربما.. مخيف... رغم القهقهات...

هو زمن العبث... والبحث عن الأحقية... أحقية الكسب.. وضع اليد؟ ربما... أو ربما ولاية أو وصاية.....

ترسم دائرة كبيرة على الأرض ليدور حولها أخيل.. عارٍ تماماً إلا من منديل أحمر ملتف على كاحله، وتشير إليه كل الأيادي لتنهال السهام عليه...

أعزل.. أعزل... ترتفع الأصوات باستهانة... أعزل أعزل

قد كان حقاً أعزل.

حذارِ لعينيك أن تقتربا.. قد تبصرا... الحقيقية.... أو يخدعهما وهم

إياه فاهك أن يقترب... قد يطيب له أن يصرخ

إياك... والاقتراب.... قد يحلو لك أن تتنفس

لا... لا... إياك أن تفعلها وتحاول أن تصغي... مازالت صرخاتهم تدوي..

إياك... وإياك... وإياك

ستُفقأ عيناك... ويعشش العنكبوت على حنجرتك.. وأذناك ستصفر بهما الريح... ستتمزق طبلتهما وتمر منهما الأصوات بصمت بداخلك تجول وتجول لتخرج كصرخة مغلوطة من حنجرتك... تزيح بقايا رماد تساقط من دماغك... لا تخَفْ كفاك ارتعاشاً كما الأحياء.... فما أنت بحي... افهمها... لقد آن الأوان...

أقتربُ منك الآن.. أحضنكَ... أحاول أن أزيح رأسك لأبصر... أجدني منصهرة بالفراغ.. يتبعني آخر وآخر وآخرون... نتزاحم.. على الثغرة ذاتها... نريد... أن... نبصر... نصغي... نصرخ... نتنفس... أن.... نعي.. أن ندرك..

نتزاحم جميعنا... وبصمت مريب... تاركين خلفنا ثغاءً... وزئيراً... ننهمر.. كما المطر

نندس... كما الإغواء...

نتباعد كما الفضيلة...

ونتزاحم من جديد... كما اليأس

كما.. رمال الأيام... نقترب أكثر وأكثر...

يتناثر الزجاج في كل مكان...

في كل مكان

أحبهم... أولئك الحالمين دوناً عن أحلامهم

الغافين على أرصفة الحزن... يتوسدون بعضاً من حجارة.... يفترشون السهر ويتلحفون بدموع من ثلج صامت يتهادى على أوجاعهم....

أؤلئك المزرقة أناملهم التي يغمسونها في سقف سماء يجترحون منها بعضاً من عصارة أمل....

أولئك الذين تختلط قطرات المطر مع قطرات أخرى بغير كثافة... لها ثقل الملح على رموشهم

أحبهم.... أحب من رنحتهم الحياة فصدحوا بأصواتهم وأصوات آلاتهم الموسيقية بتحد جميل... وخائف بالآن ذاته

من تتصور أنهم يتمايلون طرباً حتى تلتحم أجسادهم وهم يعزفون... وجل تمايلهم والتصاقهم لاقتناص بعضاً من دفء بتلامس أكتافهم...

أؤلئك الذين يطربون قلوبنا فترتجف نشوة تراقص دقات قلوبهم المتوسلة لبعض من قروش رنانة ترمى في علبة غيثار أو في دف غجرية تتحدى أعيننا مصطادة فينا ذاك الرضى..

أحب رؤوسهم معتمرة قبعات من قش يتشرب رطوبة علها تطفئ شيئاً من عطش أرواحهم للحرية

ملابسهم التي يجمعون بها كل ألوان الطبيعة علهم يضمون إليهم الكون كله...

أعشق موسيقاهم وتمردهم على حدود الأناقة والبروتوكول والإتيكيت

أعشق عطاءهم ونثرهم للموسيقى عبر أثير الروح

ابتساماتهم السمراء... وبشرتهم النحاسية... ضحكاتهم.. إيماءاتهم وغمزاتهم...

عالم جميل أشبه بجزء من غابة متوحشة وسط عالم من الحدائق الصقيلة

أحبهم.... فقط أحبهم

بحث طويلاً.. بين أكوام الإبر... عن ثقب إبرة

أراد.. أن يعلق القمر بخيط.. يسحبه معه في مساءاته العاشقة..

إبراً مكسورة الرؤوس.. كانت..

وخيطاً...حريرياً طويلاً...

لن ينتظر القمر... شريك للزمن المقامر

سحب خلفه حاشيته من النجوم... ومضى

ومازال هو..... يبحث عن ثقب في رأس

إبرة.

أتدري ؟؟؟

أتوق لدخان سيجارة

لدوائر تطوق عنقي بها وتسحبني إليك

لغمزات من جمر أحمر ..ونثرات من رماد مشاغب

أنفخه ليحرق عينيك... فأختلس منهما قبلتي ..

وأهرب .

يسحب كرسياً... بوهن

يجلس أمامي محدقاً... بصمت... تمتد يداه.. ممسكة بعلبة من ورق مقوى.. يفتحها بعناية وهو ما زال محدقاً بي بكل حيرته وتردده.. يتخذ قراراً... بأن يفصح عما بداخلها... يفتحها.. يشير إلي بأن أنظر.. لا أن ألمس... أحدق باستغراب... ورقة بيضاء يتلاعب على سطحها الرماد... لوناً

رجلٌ فاتح ذراعيه يسير على حبل محاولاً التوازن، وخياله خلفه... يتسلق الجدار بعملقة

ويواجه حشرة ضخمة بشكل يعسوب مهاجم

يقول بحزن: هو أنا... وذاتي أخشاها... وأتحداها... وأراقِص خوفي باحتيالي... عليه وعلى ذاتي...

ينهض... يسير... يعود... ويتهالك من جديد على كرسيه...

بداخلنا... ألف شخص... يحاول الخروج...

في كل منهم... الأنا... متقلبة... ممتدة... إلى ما لانهاية.... نخرج الأنا الأخرى... نواجهها.. أو تواجهنا... تخشانا... أو نخشاها... وتبقى... هي لحظة الحقيقة.... قد نرجع الأشياء إلى مجرد حالة... نقزمها... نواجهها..

تسحقنا أو نسحقها... ولن يتوقف الزمن.. معها.. ستعود.. بصورة أخرى... ينهض... يسير على رؤوس أصابعه... يفرد ذراعيه... ينظر حوله... يشهق

فجأة.. يتسمر.... يلوح بذراعيه.... يقهقه باكياً... يمضي.

تخال كفيك امتلآ بها ..

تحضنها أملاً... تسير بها... مطمئناً .. وتنسى أن لا

شئ يدعو للإطمئنان... تفتح كفيك لتجدها بقية باقية من ذرات تحار... أتخبئها!؟ أم ترمي بها؟

تطبق أصابعك بقسوة علك تغرسها بذاتك... وتتسرب

ما تزال تتسرب... لن تملكها.. إياك أن تخال أنك قادر على امتلاكها... ترفع يديك إلى أعلى الممكن وتفردهما من جديد تاركاً إياها تمضي إلى حيث الاختفاء.

الكون... سيمفونية وجودية

ما بين الشك واليقين

تتوالى الشارات البيضاء والسوداء على سلم موسيقي واحد...

أحدهما للبيضاء والثاني للسوداء

لك أن تختار

والسلم الموسيقي واحد... لكنه دائري... يدور بأكبر حلقة تحيط خصر الكون...

سمهما كما تشاء لو أحببت

جواب وقرار... احتمله... كموسيقا تحملك كذرة رملية تدور معها فوق شواطئ العالم... وبلا انتماء

لا تسأل أكثر...

كغمزة في العين اليمنى حيناً

وفي العين اليسرى حيناً

شك أم يقين؟؟

صه... لا تهمس... لا تصرخ... فقط حلق

فالموسيقى... .مازالت تلف خصر الكون...

تهادى معها... .ذرة رمال كريستالية... صعب أن يحللها موشور...

فالموسيقى أسرع... وما زالت تلف خصر الكون
نبدؤها... بنقطة... نتابع نلتف على ذاتنا كالحلزون
لتتقابل نقاط التلاقي عند كل التفافة عند النقطة
الأولى... مواجهة الذات... مرة بعد مرة بعد كل
التفافة... هو الزمن... هو البعد... عن أناتنا الأولى
هي أناتنا وأناتنا أيضاً... وتبقى الالتفافة الأخيرة...
تواجه كل الالتفافات وتبقى الوحيدة... غير المكتملة
فراغ... شره... نعم فراغ شره
أهو عشق للالتفاف من جديد؟
أم خوف من بوابة تتسع؟
أم.. لا أعلم... إن هو إلا... ترهات إنسانة تتأمل...
على تلك الغيمة... كان انتظاري... حمراء كانت بلون
الشفق... تمطت وتلوت... وتبرمت عبثاً أردتها جامحة
غاضبة ..لم تكترث... صرخت بها تمردي تكوري
تجمعي صيحي إن شئت واغضبي رمادية كوني..
لتزأري ولتغضبي... اشتعلي انهمري... عطشى
أنا... جفت مسامي... حاوريني... راقصيني ..
فقط عديني أن تنهمري... أرتفعُ بذراعي أمتدُ
أتطاولُ أكثرَ فأكثر... ألامسُ عرقاً بارداً بجبهتي
يعبرني الهواء ..يمزقني... ماضية أنا حتى حدود

الأفق... تلك المراوغة السماوية التي يداعبنا بها
الإله... لا حدود للأفق لا حدود... كالكذبة كالرغبة
كالقسوة... لا حدود...
لن... تمطر... وتمضي ببرود... كالخديعة
ترتعش أصابعي على شفتي... أصبحت قادرة
على تلمس خطوطها... جفت وقست... أحاول ترطيبها
بلساني... أشعر بالثقل بالجفاف... أتداعى أتداعى
أسير بتثاقل أفرد يدي أكثر... ألامس عنقي...
أرى البلل في أصابعي... لمعة قد افتقدتها شئ من
جذل أحمق... ليس بالماء... ألعق ماعلق في أناملي
يا للملوحة والمرار.. ما زلت أسير ولزوجة باردة
أخذت تمتد على صدري.. أمضي أناشد خط الأفق
أنهار... أتهاوى أمد يدي داخل التربة ها قد اقتربت
أمسكتها هي الجذور رطبة هي... أسمعهم ينادونني
أصواتهم تقترب... وشفاهي كذلك أهوي بها على تلك
الأرض أسحب إليها جذور الشجر أمتص منها الرطوبة
فقط هنا فقط في تلك الجذور مائي أسمع أصواتهم
أين أنت يا شهباء...
أين أنت يا حلب... ملتحمة أنا بالجذور لن تبقى حلب
الشهباء عطشى وجذورها فيها الخير كله

أزرق ..أخضر ..وبضع من بنفسج

تحبينها هاته الألوان ..؟

بل أعشقها... تفرد شالها على ماس كتفيها وتتمايل شقرة خصلاتها بجنون تلثم قرنفل وجنتيها...أمد يدي إلى ذراعها أرفعه فتداعبه شعاعات النور بهمس... ألصق به عيني وأستمر في تحريكه... تضحك بجذل طفلة... ماذا ؟؟ما الذي تفعلينه ؟؟

_ لا شئ ..أراهن الشمس أنك تخادعين الموشور وتحللين بلونك كل الألوان...

لونك هذا الماس الوردي سيخلق عالماً جديداً لم يره أحد من قبل...

تضحك... أتابع... قوس قزح أنت بدرجات مختلفة قوس لا ينحني بل يتراقص كموج في الأثير... كل لون به حب... أو حنان.. أو رأفة...

ووووو

تفرد شالها ثم تتركه ينسدل من جديد فينساب على يدي ألثمه

بعشق... يا لرائحة الأم يا حبيبتي... أعشق شالك هذا

_ تحبينه لأن فيه أناقة الطبيعة... تعلمي أن تجيدي عشق الطبيعة... راقبي تناسق الألوان وجمالها

_ أنت ألواني

تضحك مدندنة بصوت ساحر... أسمهان... كان صوتها رائعاً كأسمهان... أعاتبها بحزن لم تورثيني صوتك الجميل

_ تنظر إلي بعمق... بل منحتك الكثير... ستفهمين مع الوقت

تأخذ يدي بين كفيها تنثر عليها نجوماً من مرهم قائلة بمداعبة

جميلة... يا لهذه اليد الصغيرة... لديك كف هرة

أحملق بها باستغراب... تضحك وتهمس لكنها يد فنانة

تتابع نثر نجومها على وجهي هي النجوم ذاتها كنت أزرعها

على يد أولادي والآن أحفادي .

أغمس ريشتي باللون الأزرق وأبحث عن بعض من بنفسج في فضاء روحي... فتعبق أمي شذى وعطراً

الآن فهمت لمَ كنت أُرخي شالات من ضفائر الأزرق والأخضر على لوحاتي وأنثر شقرتها أزهاراً

أبحث عنك في ألواني وأرخيك ستاراً دافئاً في أثير عالمي

علَّ تلك القشعريرة في جسدي تستكين في روحي وأنت تحضنين وجودي...

روح... لا ..عكاز

إلى من أحبهم... سيأتي يوم... ليس بالبعيد... تعجز فيه ذراعاي لارتعاشهما عن العناق... ستبحث أناملي بحرقة عن

مسام وجوهكم، ويطبطب عليها الفراغ مواسياً...

سترتعش...ذراعاي....وجسدي....وحده ذاك الخافق بخلجاته...

سيحاول أن يسابق اهتزاز...الزمن وارتجاف الأيدي

ويحضنكم بكل... رعشاته....ونبضاته التي هي منذ الآن متعبة سأضغط بيدي عليه... كي لا يقفز... خلفكم... بعيداً ..كما الآن

وكما...الأمس... ويتركني.

وبيدي الأخرى سأقبض..على عكازي... كي لا أتداعى... ربما حتى.. لا تلتفتوا.. كعادتكم... بل وحتى تستمروا...

سأطرق.. بعكازي الأرض... لأمضي بكم... لا معكم... إلى حياتكم.

هذه العصا... عكاز الزمن... ستكون... مجرد عصا...

وشتان....شتان... .ما بينها كعكاز... وبين من كانت عكازاً لكم

عكاز....يساعد على المسير... في دروب الحياة... ليحميكم من

عثراتها...

هل اجتزتم جسوركم...؟

أم أن هذا العكاز لم يعد صالحاً...

عكاز... لزمن ما... ويرمى به... ويسر... قويت أقدامك

فهنيئا للحياة لكم...

كنت أمد يدي إليكم بخيط تمسكونه به في أولى خطواتكم

مجرد خيط... لا أكثر.. فتمون بأولى خطواتكم وكلكم ثقة

هي الأم من تمسك بيدها حبال الثقة... لم يكن مجرد خيط

بل حبل ثقة... ما اقتطعته يوماً بيني وبينكم حبل السرة هذا... قويت أقدامكم...؟

قادرون الآن؟... أم أن عصا العكاز قد نخرت؟؟واهترأت؟

هنيئاً للحياة... بكم... وهنيئاً لكم بها...

انتبهوا... فقط انتبهوا... إياكم والتعثر بالعكازات المرمية

على الأرصفة...أخشى عليكم من السقوط..

الأم... ليست... أبدا... ومطلقا... بعكاز

الأم... روح... توكأتم عليها...

روح... لا... عكاز... يرمى

روح... لا شماعة... لتعليق خيباتكم

روح وليست بعكاز... للمراحل

أبحث عن عكاز من فولاذ... .قد يكسر دربي عكازي ..

كيف للروح... أن تكون... .فولاذا؟!!

انتيتكنولوجيا

أستمر في الهبوط على تلك الدرجات... ويستمر الطريق أمامي بالدوران...

لا أعلم في أي الاتجاهات أسير... مازلت تلك المخلوقة التي تسير تبعاً لتوصيات شارات الأيدي .

أنظر بحنق إلى جهاز المحمول... تباً لإشارات تحديد

المواقع.. فأنا لم أدرك بعد أين هو موقعي من الحياة

حتى أدرك مواقع الطرقات والمحطات والمدارس و و .. و و

أذكر جيداً ما كنت أقوله لأولادي وأنا أضحك مشيرة بأصابعي الملونة وريشة من ريش الرسم قد شبكتها بشعري... دعوني.. أنا لن أصلح إلا للرسم والكتابة أنا "أنتيتكنولوجيا"... حتى جهاز الموبايل لم أستخدمه إلا منذ فترة قريبة للضرورة.

أجيد الهمس لقلمي والصراخ على ريشتي لكني أخاف غالباً من هذه الشاشة الالكترونية... وأستغرب فالخوف يتنافى مع طيشي واندفاعي.

ربما لأنني امرأة من زمن دافئ للحب والود، ولم أكن مهيئة لزمن القسوة والبرودة والجليد.

ربما لأنني أعشق أن يكون لدي نقاط ارتكاز في مشاويري أشياء لها حميميتها بحياتي... قد يكون هذا مضحكاً... لكنه سرّي... كنت أسجل الطرقات بقلبي عبر الشجيرات التي غرست في أرصفتنا.

الأخضر الحي... روح... وود...وحنين... لا كتلك النقاط والشارات المتوهجة...

أسير وأنا ارتجف... قريبة من القطب أنا... إنها ستوكهولم ..

أدلف إلى باب كافيتريا تابعة للمحطة... أطلب قهوتي

أرمي بمعطفي على الكرسي... أدندن... علني أدفأ

آخر طريق المسا .. في شجرة ليلكية...

يالعمر اللي ما بينتسى... ضلك فايق علي

العمر !!؟...كيف لي أن أنساه وأنا مازلت أبحث عن شجرتي الليلكية...

ربما ... في مكان ما... قد تكون فيه محطتي الأخيرة

قرب شاهدة تحمل اسمي.. قد يكون ثمة شجرة ليلكية تعبت... بعد أن تاه الطريق .

مازالت الحبيبات تتلاطم مرتطمة على حافة النافذة

أصغيت لهمسها.. جذلة كانت.. أحببتها.

اقتربت بشفتي من اللاشيئ علّي أحظى بلثمها

ها قد لا مست شفتي رسل الإله تعانق بحنو أجسادنا،لامستها بقبلة ندية كانت واستمرأت طعمها، عذوبة تنسل عبر شفتي إلى داخلي

مطر قطراته لآلئ تعد بالخير. استمرت تجري أخاديداً على يدي الممدودة

يا ليدي الباردة تتقلب بالهواء تحضن أمساً.. تنشد غداً لا تدري إن كانت ستطاله..!

مددتها أكثر فأكثر، لم أحظَ سوى بارتجافة.

باعدت بين أصابعي الشرهة لأقبض على يومي، لأكون سيدة يومي
لم أجد سوى أفقاً رمادياً يدعوني للاقتراب.
ما بين استكانة وانتفاضة لا يغدو للأمل طريق.
أهداني الإله ربيعاً، فرحت به، طربت له.
إلا أن ربيعي كان رمادياً قاتماً
غيوم، فغيوم وما زلت أقول لنفسي هو ربيع هو ربيع...
ومازال الأفق بعيداً متوازياً مع مسيرتي لا يقابلني ولا أنا أقابله !!

أهو حقاً ربيع؟!
هو سجن أبيض
دفؤه صقيع... عتمته في بياضه... أستغرقُ
في تأمله إلى حدود... التلاشي...
أنفخ بأنفاسي أمام وجهي فلا أبصرها
البياض في كل شيء... أسير وأسير باحثة
عن لون قاتم أطارد به بخار أنفاسي لأراه
أجد تمثالاً خشبياً تحت شجرة... أضحك فن تحت
الشجرة... أمسح عنه الثلج... وأبدأ طقسي
بالحوار أنفاساً من بخار أسعد لأنني استطعت
رؤيتها... أمام ذاك التمثال... أتيقن بأنني ما زلت
أبصر... يتساءل حزني أترانا مللنا النقاء؟
لم يعذبني هذا النصع؟ هل اعتدنا على لون الدخان

الأسود والخراب؟ فلم نعد نرتاح لصفاء الطبيعة؟
أم أنه الحنين الذي يأبى إلا البحث عن بقايا الوطن
أم بقايانا به؟.... أعود إلى الثلج أمسك بحفنة منه
أصفع وجهي بها... علّني أصحو
لقد باعوه... ذاك الوطن... باعوه ذاك الوطن.

فستق حلبي

أحاول اقتلاع القشرة بسلاسة حمراء؟.

مشوبة بالصفرة

مغلقة إذاً اتركها

أحاول لن أيأس

منذ متى؟

منذ ولدت

قاسية هي.. دعك منها

ليست أقسى من أيامي

أضحك، حالة جديدة هي؟!!.

يجيب: مستعصية.. أحبها.

دعها.. فيم تحاول؟

يضحك: أقدمها لك مع فنجان القهوة. وابتسامة

رائحة الفستق الحلبي..

أهمس بحنق: عد إلى نومك.. بعيد أنت تماماً !!

هو: ليس أبعد من حلمي، وليس أقرب منك!!

أقولها بشرود: حالة مستعصية

هو: أحبها مستعصية

أنا... رائحة البحر رائحة التراب، البعد كل هذا لن يترك للفستق رائحته

هو: تبقين أنت

أنا: يا ليقينك حبيبات من سراب

هو: بل همس الحقيقة

أنا: أنت لا تجرؤ ما زلت بعيداً لن تجرؤ

هل لك أن ترسل رائحة الوطن في قوارير؟

هو: أحلم

أنا: أريد ان أحيا.. لم يبقَ الكثير.

هو: أحلم برائحة الوطن بابتسامة فستقة حمراء تنفرج عن شفتيك

أنا: تحتاج نوراً إذاً.. تحتاج ضوء القمر هنالك في البعيد ما عدنا نستطيع رؤية القمر

أحلم باحتضان يدك أتلقفها ممتدة من البعيد عبر السهوب ماسحة بمسامها شجيرات زيتون لم تحرق بعد..

أحلم بسرب سنونو يدور في سمائنا عائداً منادياً

أحلم بأن أدندن معك ويرتفع صوتنا بجنون.. أن نكون ملوك حلمنا.. أن نشيد سلاماً أن نبني إنساناً بل صروحاً من إنسان

هو : ماذا؟ عن ماذا؟ انتظري سقطت حبة الفستق

أضحك.. أعربد.. أنهض.. أرفض السقوط

حبة فستق؟؟ حبة فستق؟؟ يا لكل الجنون !!

هو: تتكلمين بمثالية

أنا: ماذا عنك؟؟

هو : هي نافذتي الوحيدة النقية.. لا أملك سوى عقلي وضميري.

أنا: أحياناً المثالية والشمولية في إفاضة العالم بما نشعر به دون اقتراب من الخصوصية.. إنْ هي إلا حالة خوف من امتلاك حقيقة تجعلنا نعيشها بحق، وهذا أكثر من مؤلم.. يبقى الخواء موجوداً مطارداً لنا كيفما هربنا.. هنالك الأنا..التي تخنقنا ونميتها لخوفنا من عجزنا.

صوت ضحكة، أتدارك : أقول هذا بشكل عام ليس موجهاً على الإطلاق

تعلو الضحكة..

أنا: أتدري بتعليقي الأخير هذا تأكيد على ما أقول.. هناك من زرع الخوف في ذراتنا في خلايانا أصبح من ضمن نسيجنا زرعوا فينا الرهبة رهبة الخسارة من جديد.. زرعوا فينا الهروب..

نخوض ماراثوننا بأسلوبنا فقط لنبعد

يأتيني صوته: فنجان قهوة

أسترسل: ننطلق لا نعلم متى نتوقف

هو: فنجان قهوة وابتسامة

أنا: أذكر فوريست غامب من جديد نهرول نعدو نركض نسرع نتقهقر نتعب آه كم نحن متعبون !!!

نمضي إلى ما لا نهاية

هو: فنجان قهوة ابتسامة رائحة فستق حلبي

أنا ما زلت مسترسلة: نمضي نمضي إلى ما لا نهاية.. قد نتعب.. وريشة بيضاء ليمامة ما كانت هنا.. تدور الريشة في زرقة السماء..

أنتبهُ رغم غشاوة الدمع.. **أنتبهُ** كان طرفها مشرب بالحمرة كان طرف الفستق الحلبي مشرب بالصفرة

قهوة فستق بحر بعد.. أزرق أبيض أصفر أحمر... أحمر... أحمر...أحمر.

أحزان عصرية

دائرة تحضن وجهاً حبيباً... على الجانب المقابل

لقد انتهت دردشة الفيديو...

صمت... وصمت آخر

وحدقة يشتد اتساعها... لتضيق... وتضيق...

ونور الشاشة أبيض... أبيض

ووجه... لا وجودي... يغزو مساحة بيضاء يصغر أكثر

فأكثر... تزداد خطوطه تكوراً... لتخط ملامح طفولية

وتزداد حرارة الشاشة

وتزداد الحرقة في الصدر... يقترب الوجه الطفل من ثدي... أحضن ذاتي... أحمل جسداً لا مرئياً أقرب إلى صدري... أسمع لهاث طفلي...

تزداد حرارتي... تلسعني قطرات تجري على يدي أرفع أصابعي أتذوقها مالحة... لا تشبه طعم الحليب

أغمض عيني من جديد... لتنهمر دموعي حليباً أغسل به وجه طفلي...

تتداخل الصور... تتمدد الخطوط لتأخذ شكل وجه شاب متعب... تغزوه ..خطوط مكورة لوجه طفل...

متعبة... أنا... ككل الأمهات... أبحث عن وجه طفل أسحبه من ثنايا الحزن.

انتهت دردشة الفيديو...

ما زلت أريد سماعك... ما زلت أريد أن أتلمس حدود جفنيك... أن ألمس مسامك... وأتنفس رائحتك...

انتهت دردشة الفيديو.....

لم تكن ليلة عادية

لا بما تعنيه بالنهاية أو حتى بما تعد به للبداية صخب وهالات دخان... وشفاه ترتشف الحب قبلاً واحتضان

في ساحة كوبلنز تصدح موسيقا وترتجف نجوم ذهبية على الأشجار وتحتال دموع السماء لتجد لها سبيلاً بين وجوه العاشقين فلا تلامس إلا حواف قبعات تهتز بتمايل رؤوس أغوتها نشوة الالتحام المجنون بسوناتات فرح حيناً وببعض من صيحات متناغمة هاليلويا

تتقارب أجساد وتتباعد كحلقات من دخان ترتفع إلى حدود التلاشي... كما الحقيقة... تتراقص مبتعدة إلى ماوراء خطوط الشك.

هناك في ساحة كوبلنز... ألعاب نارية... تختلف قطعاً عما كانت في بلادنا... هي ألعاب تترك الشفاه ضاحكة تكاد أن ترى انعكاسها في العيون المشاغبة ورنين الضحكات...كقبلات تداعب السماء... لا كما اعتدناها في بلادنا امتداداً مخيفاً يلتهم الأرض والبشر..

تترنح الأرض تحت أقدامي ترتج باهتزازات الأصوات المنبعثة من الأجهزة الموسيقية ومن أقدام من يرقصون... طبطبات جميلة على سطح عالم الإنسان تناغم يحضنه الكون... الأثير... والروح... والجسد.. والعطر... الكثير والكثير من العطور... رغم الأفق المفتوح... أشعر بالعطر يلفحني فأثمل..

كل في تماه مثير... تجتمع به الحواس جميعها... أعود من جديد... وأنا ساهمة في تلك العصي اللامعة التي تتناثر نورا ونجوما... نجوم الليل...

أذكر طفولتي... أذكر أهلي واحتفالات رأس السنة... كيف كنا نتهافت على إشعالها ببهجة... وتأخذني ذكرياتي إلى سنين أقرب فأقرب... أذكر كل شيء...كل ما كان رائعاً وأقصيته عني.

وكل ما كان أروع... وأقصيت عنه.

سهرات لطالما كانت الأهم بحياتي... زوجي، أولادي، أهلي... والكثير الكثير من الصور التي بقيت هناك مرمية في ألبومات ما حسبت يوماً أنني أتركها...

رغم الأغاني الألمانية.. رغم كل ماهو حديث بها... بعض من الأغاني الانكليزية كان لها نصيب في تلك الليلة... لليو ساير... فرقة الآبا...

غريب كيف للموسيقى أن تلعب أكبر الأدوار بحياتنا... تقسرنا على العودة... فكان أن عدت من جديد... إليها، ومعها... لكن بدونهم... نعم بدونهم...

واستحضرت بذاكرتي ماغاب عني منها... أغمضت عيني... وبكيت... بكيت... يا لشد ما بكيت...

بيتي... حياتي... مدينتي... كل شيء... كنت أبكيه

...satan white in Nights

لم تغادرني... بل كانت تنهش داخلي وأذني بقسوة

والكثير من الصور... حتى صور من الفيس حلب قبل وبعد... كل شئ ليس كما أردته

مؤكد... ليس كما... أردتموه...

أحسست بيد تمسك بي وتسألني بالانكليزية مابك لم تبكين... رغم أنهم لا يبالون.. لكن ربما خرجت أنا عن المألوف...

وشعرت بابنتي وصهري يسألونني.. ماذا حدث... لمَ البكاء!؟

لن يفهموا قطعاً لمَ البكاء... عقود من الزمن عشتها لم تعني لي فقط حياتي... بل كيف كانت الحياة ببلدي ليس أني أمدح أو أذم... لكن الكثير من هذا وذاك

فأنا مواطنة... تعلم وتفهم... ما معنى وطن

خطى... تكات ساعة

صوت القطار... تكات الساعة.. خطوات على الدرج
يخفت الصوت.. يرتفع آخر، تزداد ضربات الساعة
تتحرك بجنون... أكثر فأكثر ..هو الزمن مازال رصيناً
يعرف كيف يسير على ناصية العمر برصانة
لكنها هي الساعة... تبّاً لصوتها لدقائقها وثوانيها
يعلو الصفير من جديد تتابع الخطى صعودها
تنضم حبيبات المطر تريد أن تشارك... أصبح الكل
متآمراً... إيقاع آخر متسارع ينضم لسمفونية الجنون
المتعبة... الصوت أعمق أعمق تختلج وجناتها
تمتد يدها إلى اللاشيء تمزقه... هو الغلاف علّها
تنزعه عنها أحاط داخلها... هناك حيث تستقر لؤلؤة
سوداء تأبى أن تغادر... تتوارى خلف الستائر
تنفخ بأنفاسها على الزجاج تريد أن ترسم الضباب
كثيفاً كثيفاً... يا للغباء... ما كان له أن يمنع أذنيها
من أن تسمع... تتداخل الحواس معها تريد أن تخفت
صوتاً بدخان وأن تلثم شعلة حمراء لسيكارة تتحرك
مقتربة من بعيد تشعر بحرقة في شفتيها تقترب
من الشرفة تفتح مصراعيها تندفع بكل ما فيها

تستدير، ترجع بشعرها إلى الوراء، تميل أكثر

فأكثر يؤلمها انحاؤها... تفهم... تضحك لا يمكن

أن تهوي هكذا مستديرة منثنية إلى الخلف .

لا تنتهي هكذا لن تسقط... أدارت بظهرها لم يمسها

إلا حبات المطر تبلل جسدها والتصق بها ناداها

اختارت أن تدخل... تغلق النافذة والشرفات

تغلق عينيها على تلك الجمرة الحمراء الصغيرة...

هي لا شيء... لم تكن شيئاً.. قد تكون برعماً قد سقط من علِ.. تدندن برعم توهج كنيازك السماء لا شيء

هو لا شيء. توصد النافذة تفتح بوابة الساعة تسحب

منها تلك القطعة المزعجة يا للرتابة... يا للأرق

تسدل ستاراً موارباً... تعيد ترتيب ثنياته تلتف

بالساتان البارد مرتجفة.

تبتعد الخطى... يغرق الشارع في الصمت

تعبت... تعبت من أن أكتب

تعبت.... من أن أرسم

تعبت... من أن أنتظر...

من أن أشتاق

من أن أقلق... من أن أصرخ... من أن أصمت

من أن آمل... من أن أيأس...

من أن أخاف... من أن أذعر... من أن أترقب...

من أن أحلل...

تعبت من أن... أبصر

من أن... أتبصر

تعبت من أن أصدم...

تعبت من أن أنهار... .من أن أتداعى...

تعبت من أن أخدش بغضب جدراناً ليست بجدراني

تعبت من أن أفهم... من كنت... ومن أصبحت

تعبت من أن أفهم... قانون المسافات

وقانون اللحظات... وقانون الكلمات

تعبت من أن أفهم... قانون المحظورات

و... قانون المسموحات

تعبت... من أن أعي الممكن

تعبت... من أن أطلب المستحيل

تعبت.. تعبنا... تعبوا...

ليس تصريفاً... فقد... صرفونا... وصرفونا

تعبت... والله تعبت

من أن....أتعب

ايكاروس من جديد

كالافتراض أبقى مجرد حالة..

همس وتداعيات وتداع..

ما بين قشور اللؤلؤ.. واستغاثات الثنايا البيضاء.. أتلاطم مع كل موجة أمتد عبر النزق.. محدقة بحصيات لامعة ترصّع الرمال المستحمة أشعر بدوخة لذيذة.

ينفلت مني الجسد.. أرتفعُ أو ربما أهوي.. لا أميز بعض الأحيان يصبح عدم التمييز جمالية بحد ذاته.

أحاول الاستنشاق أكثر، أبحث عن وخزة الرطوبة، عن لسعة الملوحة كم تخيلتها وعشتها والآن لا شيئ من هذا.

أستمر بعبثي أمارس دور الخلق والاختلاق.. ليس كفراً.. بل إبداعاً وابتداعاً..

أما كفانا تقزماً؟ ليثار لي قهري.. سأغوص وأغوص لأنهض من جديد..

أخترق.. أتجمع.. أقتحم زرقة القاع..

أغوص أكثر فأكثر تجتاحني شهقة غير معلنة.. لا تلبث أن تتلاشى إلى حدود الاستكانة تزأر بي ثورتي.. أعود للالتفاف..

ما زال القاع برماله يلامسني

أندفعُ.. أنبعثُ من جديد من قلب الماء بقوة هائلة أتشظى.. ومن ثم أتجمع

مستقطبة حولي ذرات الرغوة البيضاء وأخاديد الموج المتمايلة.. أحرك جسدي بانتفاضة.. تتجمع الذرات أكثر فأكثر.. أرتفعُ ترتفع معي.

ما أنا إلا آيكاروس.. أنهضُ من جديد.. أجمع ذراتي.. زركشة دانتيلا الموج الأبيض تتطاير حولي يستقر بعض رذاذها على شفتي.

أبتسم بجذل.. قطرات حلوة المذاق..

أرسل إلى الغيم غمزة، أضحك عالياً.. هو عالمي وحدي !!!

عالماً سكريَّ الموجِ

بحريَ هذا أريده حلواً سكرياً.

هذه أنا.. عابثة دائماً.. يجرفني جنوني.. أغيرُ كل شيء

الكون لدي مادتي الخام أطوعه لمزاجي.. مطري غيرته سابقاً.. لونت حبيباته.. منحته بركتي وسكبت فيه كل الألوان.. أما بحري فقد جعلته سكرياً له مذاق العسل ونكهة الزهور.

أرتفع أكثر فأكثر جاذبة معي تلافيف الأمواج.. فساتيني المتطايرة

يطير الموج معي.. حتى الموج أحرره. نرتفع ونسمو معاً..

يرتفع صوتي من الأعالي... إيكاروس من جديد

صندوق أسود

هي الرفرفة ذاتها، وبضعة من ريش أسود يتهادى على
ما أذكره من أجزائي، ما عدنا نحن!! أصبحنا غرباء.
بما أني جزء من كلٍّ فأنا أضحيت غريبة أيضاً
مثلَ الجميع، مسكونةٌ بالذهول
مخمدة الأنفاس بالتساؤل. سيبقى الصراخ حتى الأزل
وإن كنا لا نمتلك الأزل، بل حتى حق التساؤل عنه.
الأزل ماض حاضر... والمضحك قد تكون كلمة مستوردة
من مجرة أخرى.. المستقبل
سأهجؤها أو أقطعها، كما قطعنا نحن واجتزأنا

ا ل م س ت ق ب ل
هههههه عبث هو العبث بذاته
لا يضير أن تكون لعبة عبثية... اعتبرونا هامشاً عبثياً
أعود إلى ذاتي... ما زالت الغربان تنقر جمجمتي تسحب منها تلك التلافيف السنجابية الرمادية، يقال إنها تحوي "الأفكار والذاكرة".
تستمر في الشد أكثر فأكثر... أتألم ... أتلبد ..أتبلد
لم أعد أستطيع التمييز، هو الألم الى حدود اللامبالاة.
يصبح للكلمات همس ورفرفة أجنحة تتلاطم. ما زالت
الطيور على حالها تفتش بجنون، يا للطيور المجنونة !!

هو الخواء! لن تفهم! خواء كالمدن التي أفرغت من سكانها.
أنتظر، أريد أن أفهم، يعذبني عدم فهمي حتى المرض
يحط **اثر** على كفي، أفرح، سأفهم، أخيراً سأفهم.
يرمي بكلمة أتلمسها بإصبعي! أتساءل !!؟؟
يستغرب الناس كيف ألمس الكلمات، التجريد عندي
ليس فقط بالفن، بل بالكلمة وبالجنون وبالوجود
هكذا أنا !!... قد يحتاج البعض لأبجدية جديدة لفهمي
أيكون هو السبب؟!
لا أعلم... ربما.
أتلمس زغب جناحيه أغويه طمعاً بكلمة أخرى يرميها
دون جدوى.. يرتشف قطرة مالحة من إصبعي تهطل أخرى
على رأسه، يغرس منقاره أكثر برأس إصبعي يلونه
بالأحمر ويبتعد.
حتى الغربان أصبحت تجيد التلوين بالأحمر. أصرخ
أصمت. فقط كلمة أخرى أحتاجها لأفكَّ بها أحاجي حيرتي
يا للطلاسم! ما عدت أفهمها.
يطير، يعود إلى رأسي ناهشاً ذاكرتي... يا للتعب أصبحت ذاكرتي صندوقاً أسوداً..
أرفع يدي إلى رأسي، أترك أصابعي تتجول في خصلاته
السوداء، أحركه، تتطاير خيوطه تتداخل بينها تلك الطيور
كأنها تغزلها أعشاشاً، أنتفض، أدور أكثر، لستُ بالميدوسا
ما من شيء في المرآة، سوى خصلات طويلة طويلة تدور

مع رأسي، تتلاطم مع وجهي.. آه! كم أحتاج أن أصحو.

ومع هذا أسمع رفرفة الأجنحة ومناقير تتناول الذاكرة

وتنهش صندوقاً أسود.

ما من قفل.. ما من مفتاح.. مجرد صندوق أسود أبكم

حتى الصندوق أصبح أبكماً !؟

انطق يا هذا، انطق!

أقترب من ذاتي أكثر، يتلاشى الشحوب، يتلاشى اللون

إلا الأزرق، يضيء بداخلي ينبثق عصفوراً أزرقَ..

يفتح بصدري ثغرة من نور، يخرج مغرداً تبتعد الطيور الأخرى

ما زال الصندوق مقفلاً! ما زالت الذاكرة تتأرجح بين الألم والبلادة.

يحط على إصبعي، أرفعه على شفتي، ما زلت قادرة على المنح، أرفعه إلى شفتي يلثمني ملتقطاً حبة قمح خبأتها له، في شفتي للبوح أغنية ستستمر رغم الصمت.

دعوة إلى أيوب

ثنائيات غير معلنة.

أتأبط الرحيل، أمتشق شوقي، أعدو إليها.
سفينتي، سفينة نوح قد بعث من جديد.
أتزود بكل الثنائيات، لا أريد للمعاني أن تغرق
بعيداً عنك يا أنت، هو رحيل من نوع آخر أحمل معه
كل شيء تباعد تقارب، ضعف قوة، مساندة خذلان
همس صراخ اجتياح انحسار، مد جذر... كل شيء
تناقضات لا تنتهي.. تشكلنا نحن.
ثنائيات تتضارب وتتكامل
هي الحياة، أو هكذا كانت أو بالأحرى هذا ما خلته
مد وجزر.. رميلات تغرق أكثر فأكثر تتشرب الملح
وتثمل، أسمعت يوماً عن ثمالة الرمال؟!
هكذا أراها أنا في ليلة مقمرة تتجرع الملح ومع
هذا تثمل.
غريبة هي حياتنا !!
ما بين صمتك وثرثرتك تسقط

بضعة حروف، أحتاجها، نعم أحتاجها.
تهبط، تغرق، أحاول أن أتذكر ما كانت معانيها؟!
أبحث في ذاكرتي وأبحث.. كلانا تاه، كلانا تائه.
ما بين اعتناق الوطن أو الرسم خلف جدار الذاكرة.
أرسم وترسم
أكتب وتكتب
السفينة ما زالت تحمل كل شيء تحملني معها
وتحملك أنت يا أيوب.
يا لحزن الرحيل...

ما بين الصمت والسكون ..ضجيج لا يرتوي
يخدشه التساؤل بأنيابه...
والأعماق بؤرة يستلقي بها المدى إلى أقصاه
أرمي رجائي... حصى أمنيات... عله يجيب
صنم لا يعرف سوى الصمم
لا يعنيه صراخ أو ألم
عبث وادعاء
كذبٌ يطال السماء
والأرجوحة حبالها الزمن ..
كم مر من زمن

والصرخة تدوي أما كفاك.. أما آن لك

أن تكف ألن.. ألن..؟

أصبح للحجارة صدى

للريح للخواء... دمار..

للعلن أحجارة تبقيها

والأرض... لمن

طوبى لمن رحلوا

أرواحهم حملوا

رمال وحصى

دعوات للرحيل هنالك بعيداً خلف الزرقة، ثمة همس

يقارب الترنيمة، عذوبة شهية تداني الاستكانة.

ملتفة بدفء يوشحني بحبيبات ندية تنساب على جسدي

خطوطاً تستديرُ وتتابع. ثمة قطرة قد سقطت من رموشي

أحسست لها وقعاً مختلفاً لم تكنْ لها حرارة الأخريات. أحدق أمامي، قفازات من ساتان أبيض، تجيدُ اللعب، تتقن فن الدغدغة، تسرح على الجسد الأزرق تنعش فيه الانكسارات وتسحب منه آهات تتلاطم بغنج عاشقة.

كم استباحت السكون وهي ترتشف القبل بجذل من شفاه الرمل العطش.. يالعشق الرمال للموج! يالألم الانحسار.

ألمحها قد تبللت والتمع خدها الرمادي، هي الحصى.

مجرد حصى كم كنت تقول.

التقطها، أسألك، أما حضنتها بكفك؟ أتراها حبيباتها تترفق بذكراك؟

لا أظنك قد نسيت أن تأخذ بعضها برحلتك.

كم طاب لنا أن نصغي إلى همسها، هنالك عند بوابة الفجر

حيث تعتق الخمر ويمنح باخوس من دنانه رشفات حمراء تلون شفاه المتعبين فتصدح كلماتهم بطيب معانيها .

ما عدت أعرف الكلام، تتناثر الأفكار أحتاجك لنجمعها، أتراك سحبت معك ثرثرتي؟ كنت تضحك وتقول لي: أحبها

سأحملها في جعبتي تكون زوادة المتعب البعيد، أضحك

وأقول يا لثقل ما ستحمل! ثرثارة أنا كنت وأنت كنت تقول

لي كمن يبعد عن سيزيف حمل صخرته، بوحي ليلقي

سيزيف بأحماله ويتحرر معك للأثير خفة انطلق بها.

الفن محرابي هنالك في البعيد ننطلق

أنبياء نحن

أردد وراءك

أنبياء نحن

لا لاكفر في هذا هي مجرد دعوة للإبداع والتحليق بروح نقية بعيداً.. أهمس لك أيها النائم

أنْ استيقظْ ما زالت الدنان تحلم بأن تطلي منها وجهي

بعتق الأمس. أتأمل هذه الصفحة، أجمل ما كان بها

وجهك حين أنهي ما أكتب، أن أتلقفه بلمسة وأنا أضحك وأقول لك يهطل وجهك بدائرة كحبة مطر وحيدة تغمر عالم يدي بالدهشة.

فراغ أبيض وحضور شهي يسدل اللون على روحي

فترتديه، يصبح حضورك مرئياً لروحي أتلون به.

ها أنا ذا منتظرة ذهاباً لا يأتي.. أقبع بانتظار إشارة ما

ترتجف السماء تلتف بوشاح من غيم، دانتيلا مزخرفة

أحملق في فراغاته، ثمة ابتسامات وعيون لامعة، تمتد أيد صغيرة تنساب كالطيف تتماهى مع الأزرق

تتحول الحصى في يديك إلى لوز مطلي بالسكر الأزرق ترمي تمنحني واحدة وأنت تبتسم..

ترمي بالباقيات منها، تمسي خفيفة تهطل مع المطر

تتلقفها جياع بلادي

مباركة أنت أيتها الحصى! يا منحته.

أرغفة من معرفة... تسد جوع الجهل.

لم تكن قط مجرد حصى، كانت جزيئات من روحك نثرتها عطاء

اختناق

أيها الاختناق...

أيها الاختناق! أعلنُ لك استسلامي

سأشرب نخب عشقك وتدلهك بي

أعترف بأنك استطعت غزوي وسكناي

لا تزال شفتاك تلثمان حنجرتي وتداعبان الدمع في عيوني

رحيلك بات محظوراً عليَّ، كأنك حجزت بطاقة قدوم بلا عودة، وهبطت في روحي.

أيها الاختناق!

تقسرني يا عاشقي على مراقصتك أبحث معك

عن نفحة هواء

أشرأبُّ بعنقي تحاصرني، غيور أنت حتى السماء

أيها الاختناق!! لا تضغط على أقدامي تسمرها

أتخشى عليَّ الانطلاق؟

رحيلي الأنيق لن يكون سوى للدعاء

ورائي بساط يحمل خطواتهم، أخشى إن أنا غبت

أن يمسهم الجفاء

لم يفهموها _وربي_ لن يفهموها

ألا تبًّا لهم وللغباء.

هل حقيقة عرفنا يوماً ما نريد؟

وسط مساحة على جدار أبيض... كان عليَّ أن أكتب على ورقة صغيرة ما أريده أو ما أتمناه في نهاية هذا العام عام 2020...كان هذا يوم البارحة... لم يختلف الأمر كثيراً ما بين البارحة وبين اليوم ما زلت تلك الزاهدة في كل شيء.. حتى حدود الاكتفاء ولا يهم... لا شيء يهم... ما من شيء يستدعي الرغبة فيه بكل الأحوال، أنا مؤمنة ولتكن مشيئة الخالق فيما يقدمه لي، وأنا سعيدة بكل شيء، سواء كان فرحاً أم حزناً أم مرضاً... هي حالة الرضى والزهد... عليَّ أن أقدم ما أستطيعه وهذا بحد ذاته نعمة كبيرة أن نكون قادرين على العطاء... ربما شيء من الأمل بأن يكون العالم أفضل للجميع بلا مرض بلا بطالة أو عازة أو حروب وأذى...

بطريقة ما وجدت نفسي وكأنني وسط نافورة أمنيات... لكن!

نافورة بلا ماء.. فالأماني لم تعدْ كهدايا سانتاكلوز تهبط من المداخن القديمة مغلفة بأوراق لامعة لتحط بقرب جوارب معلقة..

العالم الآن حافٍ... حافٍ تماماً وعار إلا من حقيقته... الأمور بينة... والعقول مع هذا مغلقة... ربما أجمل الأماني والهدايا هي أن نفض هذا الورق اللامع المغلف لعقولنا... وقلوبنا...

أمسكتُ بالورقة والقلم... وعقدت الخيط
صومعة من جليد
تدعوني إليك ..آتيك محملةً بالدفء موشحةً باليقين
أدخل، أبرد، أرتجف، أغادر.
مغلف أنت بالصقيع، أتسرب داخلك، أقبع.
تغادرني حروفي، همس خملة بنفسج عبقها يلثم شفتي..
نداها قطرات ترتعش تتجمع... يا لتلك الكلمات!

تتساقط على صفحة جدارك تذوب.
أتيتك بها شقراء، حقيقة دافئة كالشمس تلسعني
همساً كانت صياحاً، أمْ صخباً راقص الوريد ينتفض مع نبضي.
تتماسك خلاياي.. تنفرد.. تتغير.. تتشكل تصبحُ مجرد بساطٍ
أزرقَ من حروف.
أمتلئُ فراغاتٍ وتنهمرُ النقاطُ حولي
يتوهُ مني الجسد.
أتكور أنحني، أتمدد، أنكسر لستُ إلا كلمات!
قد أكون عالماً كاملاً، أو ربما أصبح إشارة استفهام
تضج، تمور، تصيح تتراقص...
جميل شكل إشارة الاستفهام يا صديقي
يا لرشاقتها
حتى الإشارة فيها تلافيف الرياء.
استدارة شبه مفتوحة يا لكثرة ما تحويه!
صدق أم حقيقة؟
أفكر بها هاته الإشارة، نهايتها خط مستقيم آه
وهنالك النقطة.
يا للاستقامة! بل ويالللنقطة!
من هنا كنت، من هنا بدأت،
والمضحك أن نقول
نقطة انتهى!

أطفئ سيجارتي

أطفىء النقطة الحمراء بها.

يا للأحمر اللعين!! حمرة شفاه؟ ورود؟ دم

أم خطوط حمراء

أه يا للخطوط هنا يتجسد عمى الالوان لم يعد ما بين

الأزرق الأخضر والرمادي لا أصبح عمى الألوان مرضاً

مراعياً لروح العصر.

تجاهل للأحمر تماماً هو تجاهل

للدماء للخطوط الحمراء لشعلة الروح للحب.

أضحك، كعادتي أضحك فقد آن أوان صرختي

أتألم، إنما لا بأس.

نقطة هي دائماً النقطة.

أتدارك ذاتي وأعود

هل قلت إشارة استفهام؟

قد أكون إشارة تعجب!!

لم لا؟ استغراب؟

غربة، وغرابة؟ واستغراب؟

أصيح أن كفى قد قلتها

أعود للنقطة من جديد..

نقطة بداية

أم نقطة نهاية

أم نقطة للعودة إلى بدء؟

ألعب على الشك واليقين ولكن... أن أؤمن أولاً أن لا مستحيل

تصبح اللعبة تناوباً جميلاً مابين الممكن والمستحيل... تبقى لك الريبة في مفهوم التناقض... فتدخل بنسبيته... ما بين السالب أو الموجب... يحيرك المطلق...

أمسك بيدي تفهم... أهو الممكن أم المستحيل؟

ما بين المجرد والقائم على وجود ملموس تغيب الرؤية... فقط عمَّن لا يريد أن يبصر

اكتبها إن شئت على أحجار أو صخور... مع هذا ستتفتت لأن الثبات ما عاد هو ناموس الأشياء حين تدور بفلك نسبيتها ستفقد تلك الرؤية لأنك تنسى ولا ريب أن القوة ليست دائماً ماتراه أنت... تنسى مفهوم القوة والسرعة النابذة تتطيح بكل شيء... لتعود معه إلى اللاثبات...

هذا سر جمالها... تلك الحياة ربما مهمتها هي أن تبحث عنا...

ستتقاذفنا بمفاهيمها وقوانينها... ضمن دائرة حلقاتها تخرج منها حين تضيق فتتصاعد إلى الأعلى أو تهبط إلى ما دون القرار... وهكذا... كل شيء يبقى المعلق دائماً... كما بحيرة الصفر... أين يتوضع...

كم متْعَبٌ... هو هذا الصفر... مابين إرجاحية الانتقاء أو الإهمال...كما بكل شيء... كما لكل الأمور.

ما بين الشك واليقين

تتوالى الشارات البيضاء والسوداء على سلم موسيقي واحد...

أحدهما للبيضاء والثاني للسوداء

لك أن تختار

والسلم الموسيقي واحد... لكنه دائري... يدور بأكبر حلقة تحيط خصر الكون...

سمهما كما تشاء لو أحببت

جواب وقرار... احتمله... كموسيقا تحملك كذرة رملية تدور معها فوق شواطئ العالم... وبلا انتماء

لا تسأل أكثر...

كغمزة في العين اليمنى حيناً

وفي العين اليسرى حيناً

شك أم يقين؟

صه... لا تهمس... لا تصرخ... فقط حلق

فالموسيقى... مازالت تلف خصر الكون...

تهادى معها... ذرة رمال كريستالية... صعب أن يحللها موشور...

فالموسيقى أسرع...

وما زالت تلف خصر الكون... ماذا عن الموسيقا؟

فلنتساءل... هل يتراءى للبعض أن الموسيقى كما اعتدنا هي حالة هارموني. حالة تناغم تألفه الروح فتتراخى الأعصاب معه لتستكين بهدوء وانتشاء.. لكن هل هذا صحيح دائماً؟

هل الموسيقى هي فقط هارموني؟ قطعاً لا... كثيراً من المقاطع الموسيقية تعتمد إبداعياً على قطع ثم تداخل مفاجئ لآلة جديدة تكون أحياناً مفردة لكنها بنوع من التصعيد تكسر حالة التناغم المألوفة التي كانت تخلق حالة من الاستعذاب والدعة التي تجعلنا ننساب طواعية مع سحر اللحظة ومع نبضنا الذي يصبح لا شعورياً متآلفاً معها...

ربما كأكثر ما نجد هذا في:

السيمفونية التاسعة "لبيتهوفن".. في فترة حرجة من حياته لكنه أصاب فيها تماماً بنقل حالة التمرد الداخلي الذي يشعر به فجاءت موسيقاه كرد قهري على إصابته بالصمم..

وفيفالدي أيضاً استطاع خلق عنصر الدهشة في نقلاته بين المقاطع الموسيقية...

تشايكوفسكي نجده في بحيرة البجع قد أجاد هذا أيضاً

وقد تكون الموسيقى متتابعة بفواصل قصيرة وترددات متتالية كموسيقى الألعاب النارية الملكية للموسيقي النمساوي هاندل التي ألفها بمناسبة إنتهاء الحرب النمساوية...

إذا نلاحظ أن الموسيقى لا تكون دائماً قائمة على التناغم الكامل منذ البداية حتى النهاية طبعاً ولا أقصد بهذا النشاذ طبعاً إنما يوجد أخيراً ذاك الضابط للقطعة الموسيقية الذي يجيد تجميع كل أقسامها؛ ليوحد بينها في آخر المطاف لتكون عملاً إبداعياً متكاملاً وهذا شبيه كما أسلفت بتلك العلاقة الكونية الجامعة لكل متناقضات الوجود ولنأخذ مثلاً على هذا الطبيعة نفسها ما بين واد وجبل، ومابين جرف ورأس صخري وبحر ومضيق لن نفهم هذه العلاقة بين هاته الأجزاء المكونة للطبيعة إلا إن فهمنا تلك الصياغة الإلهية العظيمة الخالقة والجامعة لكل هذه التناقضات ومؤاخية ما بينها ضمن تشكيلة طبيعية آسرة.

هي فلسفة الرؤية وفلسفة الفن والإبداع لا أستطيع عزله عن الرابط الأساسي المشكل للوجود ككل...

حين نبصر ونتبصر... نفهم

الحياة عملية تحليل وتركيب لفهمها علينا سبر ألغازها..

وبرأيي لفهم المرئي علينا بمحاولة فهم اللامرئي والعكس صحيح... الرابط الأساسي يكمن بالفكر.

عطر الروح

لم أكتبها البارحة...

فما كان للبارحة وجوداً... أعلم أنك تنتظر ما سأكتب... كتبت بكل شيء البارحة، إلا عمَّا أردت الكتابة فيه..

كنت أسير بين تلك الأعمدة المتداخلة ألتقط صوراً ربما سخيفة، أبتسم بيني وبيني نفسي وكأنني اصطدت فيها زمناً، لا ألبث أن أطلق سراحه... بمحوها.

يا لسر البقاء... يمضي الزمن وتبقى أنت... قد ترحل وبطبيعة الحال أنت بحكم الغائب الحيِّ كما أرحل أنا، صخرة تفتتها طقوس الحياة... لكن مع هذا فأنت لا ترحل... وتقول إني معك!.

ندرك كلانا مسافة المستحيل... ندركها جيداً جسر أعمدته ممكنات... كل عمود فيها لديه اسم ممكن... ولكن؟! هل لهذا المستحيل من ممكن؟

ممكن كما زجاجات العطر التي أمررها بيدي الآن عطرها كامن بداخلها... لكن مهما اقتربت من الزجاجة لا أستطيع الإحساس برائحتها، رائحة حبيسة في الزجاج البارد بينما هذا العطر يفوح الآن بكل المكان الموجودة أنا به الآن.. عطر يحلق في فضاء المكان... إذاً هو الممكن... هذا المستحيل الحبيس في زجاجة... هو الممكن في الفضاء، كما وجودك كما وجودي الأليم.

إن لم أتمكن في فتح عنق الزجاجة... لن أتمكن من استنشاق المستحيل

ولكن قد تهوي من يدي وتكسر... فيتحول مارد الاستحالة إلى ممكن جميل...

صعب أن أفتح الزجاجة.. والأصعب... أن أكسرها!!

هو الحزن نعم... هو الحزن أن تشعر أن جزأ من تركيبة روحك هو هذا العطر.

عطر... غيابه تلاشي...

تلاشي الروح.

عطرها

نثرته على عنقي لامسته بأطراف أصابعي، لزوجة فيها عتق الزمن كثافة تضغط العطر، تسكب فيه شغف الماضي

عطرها الأزرق، قدم لون السماء، غمامة ترتاح في زجاجة.

لامست أطرافها.. لزجة ندية كانت..

يا لسحرها.. جذبتها من علبتها المخملية.. عطرها الفرنسي الأنيق تربّع كحسناء تتوسد أرائكَ الفتنةِ، تحسست المخمل، أرعشتني نعومة تسري بداخلي، ملساء زغباء كجنح يمامة..

خشيت إن ترتاح أصابعي إليها تعانق الحنو فيها..

اضغط أكثر، التحم.. انصهر بذرات لا مقروءة بداخلي..

نشوة الدفء وارتعاشة رموش احتضنت خمر الحياة في الأجفان.

كأننا نستمتع بعذاباتنا، فتورق دمعاً ينسكب على الوجنات منا، ملوحة تلسع الشفة

أطبقُ عليها بتمرد الممانعة، تأرجحت بحيرتي، كل الأمور تلعثمت كالكلمات..

ورجفة لاحتضان غمرة أحسستها دفئاً على كتفي، همساً عذباً يدور بفلك أذني

حبيبتي اقتربي.. أحضنكِ

لم يعد مجرد همس تراقص صوتها طرباً

أهذه أنت؟ أنتظرك

صوتها ورائي أحملق بالمرآة أكثر تتحجر في مقلتي دموعي

أستدير أدرك الفراغ ويدركني

لاشيء سوى الصمت والحنين.. مرآة خاوية لا انعكاس لصورتها زجاجة عطرها بين أصابعي

أتأججُ شوقاً وغضباً

هو الخذلان أرحلتْ؟ لا يحقُّ لها الرحيل.

بأي حق تمتص من داخلي صوتَها.. دفْأَها ولمسَها؟

أهكذا هو الرحيل؟

أختنقُ حتى الاهتصار

أرمي الزجاجة على المرآة تتشظى بقايا من عطرها قطرات زرقاء تسبح بين الشقوق ينتشر رحيلُها.. أكثر فأكثر

أغوص ببقائي

أشتاقك أمي باسم عطرك أناديك يالعطر وعده كاذب "sneiver ej"

إني عائدة!

فهل تعودين؟

معطفي الأخضر...

معطفي الأخضر لم يكن ملقى البارحة على مقعد في غابة... لا لم يكن إلا متكئاً بشوقه على طيف كتفك.. هكذا بكل بساطة... استطاب له أن ينحني بمخمله على حواف عطر الصنوبر في حضورك... قد تضحك وتقول أي حضور؟ سأقول حينها: بل كل الحضور كنت أبتعد عنه سائرة، وأنا أحاول التقاط بعضاً من قشور الشجر... نعم قشور الشجر... وكأن تلك الأشجار يحلو لها أن تشذب بعض أطرافها فترميها كما حسناء تقلم أظافرها... الشجرة أنثى يا أنت وما أدركت بعد ما الأنثى في ضجيج الانتظار... قد تستحضر معها صبر الأنبياء... وابتسامة الملائكة... لكنها تبقى كحزن الوليد بتوقه إلى الرحم... انسلاخ قاس تشكله الولادة... وأنا ما زلت ذاك الجنين بحاجة إلى رحم وجودك... كنت أبتعد مع موسيقى أدمنتها ولا تفارقني فيفالدي... أعشقه... أتعلم؟ ماعدت كما كنت أتوق لسماع الأوديسة... لا تسأل... لا أريدك أن تسأل... ألغيتها من داخلي... ألغيتها نعم... أستمتع بسماع ما أعشق... فيفالدي... صوت الطبيعة... وصوتك... وكم صعب هو صوتك... أن أرقب السماء وأنا أنتظر دندنتها بترنيمة المطر؟... هل هو صعب فعلاً؟...

ألتفت إلى معطفي، أجده يتكوم على ذاته كما لو كان يتنفس ينحني أكثر كما لو كان يرتجف... لا يرتدي جسدي، بل هي روحي ما يرتديه... فيختلج معها... نعم روحي تختلج وأنا ممتدة منه إلى السماء، وكأنني أحاول التمطي من داخله والتطاول للانبثاق كشعلة آن لها أن تنطلق...

بي حزن غاضب... لكني... أخشى الحريق... أكتفي بأن أصرخ... ثمة شجرة واحدة خلفي تشبهني... أجدها مبرقعة بالأزرق الرمادي مع الأبيض بخطوط كما الريش... يخطئ من لا يرى الريش في مسامي... جاهزة أنا دوماً للتحليق... أقترب من هاته الشجرة أمرر أصابعي عليها وأنا مغمضة، أحب الاستغراق بالإحساس تماماً، أن أعيشَه حتى ثمالة الاكتمال والتماهي، أريد أن أشعر بكل شيء، لا مجرد إحساس، أمرر أصابعي على براقعها الحلوة تلك التي أشبهتها بالريش... أشعر بوخزاتها ليدي... باتت الآن كحراشف حادة لسمكة، سمكة لا تنزلق... أفرد ذراعي الأخرى بإغماضتي ذاتها... أحاول تلمس أي جذع قريب أو ورقة أو نبتة... لا أرتطم إلا بالفراغ.. أفتح عيني... رغم كثافة العالم... رغم الأخضر... رغم الأزرق... رغم كل شيء... تضيق بي الأشياء وأضيق بها... وأعود... مجرد ذرة... تدور في كون تجده بلحظة فارغاً تماماً...

العالم فارغ... والدوامة كبيرة... تمتصني وتضغط على رئتي أحتاج أن أصرخ أن أتنفس... أن أبكي ربما...

هذه لست أنا فقط... هذا كل واحد منا في حقيقة الأمر... الحقيقة الوحيدة... هي وحدتنا أبحث عن رفيقي الأمين... عن ظلي أسابقه... ويبقى أمامي متطاولاً... ساخراً ربما... أكتفي به إلى حين... وأنتظر... ما لا أعرفه .

أمالت برأسها بصعوبة على طرف وسادتها محاولة تعديل جلستها للنهوض من السرير.. لم تسعفها يدها على التمسك بطرف الحاجز الحديدي لسريرها... كانت تلك السيدة المسؤولة عن رعاية المسنين قد أوصت لها بداعم آلي طبي موصول بالسرير ليساعدها على الاتكاء والنهوض...

النور ضعيف جداً هنا فقط بعض من أنوار شموع معطرة على المنضدة المقابلة لها كانت تتألق أمام ناظريها... أخذت نفساً عميقاً وقد ترقرقت دمعة كسولة في عينيها دمعة تتوانى عن التدحرج على أخاديد وجنتيها بكل الأحوال كان عليها أن تضبط نفسها فصندوق المناديل بعيد عن متناول يدها كان شكلها سيبدو غريباً بعينيها المحمرتين إذْ ما اعتاد الناس على رؤيتها إلا ضاحكة مبتسمة... تشعر بوخز في قلبها وتعب شديد.. كم هي محتاجة إلى النوم.. لكنه القلق..كالعادة بدأت تصغي إلى خطوات الممرضة في الردهة وتحصيها.. تسعة إذا هي الآن أمام غرفة تلك المدعوة ماتيلدا... تعود الخطوات للابتعاد برتابة وتعود معها إلى العد أربعة عشر خطوة... هاقد أصبحت أمام غرفة جيني... كان عليها أن تنتظر الخطوات السادسة والعشرين لتعلم بأن الجولة الليلية للممرضة كما العادة ستنتهي أمام غرفتها. تدخل الممرضة الشقراء وتقدم لها كأساً من الماء وحبة من الألفيدون يُضحكها أن هذا الدواء العجيب يعتبر هنا التميمة الموحدة لجميع الأمراض.

المهم عليها أن تنتهي من هذه المهمة الثقيلة ستأخذ هذه الحبة وتطمئن إلى إغلاق باب غرفتها لتتكور بصمتها القدسي وتفتح صندوقها الأبيض... هو عكس ذاك الصندوق الأسود فيه كل ما تريد استدعاءه تغمض عينيها، وتغوص بذاتها تفتح صندوقاً من نور بمفتاح من أنفاس

روحها تتماهى بالصغر وتدخل ببوابته العجيبة تتبدد من وجهها ملامح الشيخوخة وتفتح عينيها فجأة ليتألق الوميض تمد يديها بالفراغ وتحركهما كما لو كانت تحيك كنزة من الصوف بأسياخ بلاستيكية وتبدأ بالعد هذه المرة بشكل مختلف... يرتسم على وجهها شبح ابتسامة هذه كنزة ابني الأكبر قد بدأتها بأربع وستين غرزة.. كم محبب طفلي هذا قال لي يومها إنه يحب لون الدخان ويحب لون الكرز أحيكها له كما يحب ترمي بيديها بحركة غريبة وكأنها انتهت من طي قطعة من الملابس تبتسم بحنو... آه من قطع ألعاب الليغو والماتشبوكس هذه كنزته الأخرى بها أشكال هندسية يحب هذا.. وتعود من جديد بخيالها لتدخل في ذاك الصندوق مرة أخرى بخيالها تسير بداخله في ممر من نور وتقطف من على شجرة كرات صوفية بلون أصفر شمعي شاحب وأخضر باهت تضحك... حبيبي الصغير يحب ألوان الباستيل قد حكت له كنزاته بهذه الألوان تناسب شقرته... تسمع من بعيد صوت ضحكته ضحكة طفولية... أحب رونالدو وبيبيتو يقول هذا وهو يدحرج كرته أمامه تضحك معه وهي تقوم بتغيير كنزته بأخرى صوفية بلون أزرق.. علي بالكثير من كرات الصوف، أحب أن أحيك لهم كنزاتهم بيدي.. تأخذ تلك الكرات الحمراء عالية.. عليَّ أن أتسلق تلك الغيمة. تتطاول وتمد بيديها، وتأخذ بقطف كرات صوفية حمراء وواحدة سوداء وواحدة بيضاء... وتمد أصابعها إلى الأعلى تلتقط حلقات ذهبية تهطل مع حبات المطر.. سأحيك لابنتي ثوباً صوفياً أحمراً به شكل فتاة لها شعر طويل وأغرس به جديلة من صوف أسود وحلقات ذهبية سيكون ثوب طفلتي هو ثوب دميتها... تضحك أكثر وتعدل من جلستها على السرير وتمد يديها إلى أعلى رأسها... لشقرائي الصغيرة سأحيك لها كنزة لها وجه مهرج بخدود وردية سأضع له خيوطاً صوفية طويلة مكان رموشه ستضحك كثيراً..

تعود يداها إلى حركة الحياكة الصوفية ذاتها وتمد إصبعها الصغير متخيلة لف خيط صوفي عليه لتمرره بين الأسياخ...

أنا معكم لم أترككم يوماً بل لم أقوَ يوماً على التفكير بهذا... مازال النور قوياً جداً بداخل ذاك الصندوق، ومازالت تسير على شعاع النور ذاته على أطراف أصابعها تتلقف كرات صوفية لتحيك كنزات أبنائها...

تشعر بوخزة أكبر مستعرضة شريط صور لعشرات الكنزات التي قامت بحياكتها... تتذكر كل واحدة مع كل واحد من أولادها ومع كل حدث... مع كل عمر كانوا يمرون به... لا تنسى.. لكنها تنسى أخذ الدواء وأسماء الأمكنة ومن حدثتهم ومن حدثوها من الناس... لكن لا تنسى أبداً كنزاتهم الصوفية... تنهمر دمعة منها... تذكر كنزة قد حاكتها لحفيدها لم تلبسه إياها أمه... بل حتى الثانية وحتى الثالثة أيضاً كذلك... لا تستطيع أن تنسى عدد الغرزات كانت قد بدأتها بمقاسه ثمان وأربعون غرزة... يااااااللصداع... يا لوخز القلب...

تمد يديها تحاول التقاط كرة صوفية من تلك الشجرة الأخيرة... ربما كنزة أخيرة ستلتقط كرات صوفية بلون قوس قزح... تمتد بجسدها إلى الأمام... تمد بيدها تسقط كرة الصوف متدحرجة أمامها يغلق باب الصندوق الأبيض... ينحسر النور ومن بعيد ترى نفسها تجري وراء خيط صوفي ملون قد تدلى من طرف غيمة تحاول الإمساك به... تتهاوى يداها... يتهالك جسدها...

لم تنسَ ألوان الكنزات الصوفية...

رائحة القهوة

يوجد شيء غائب بهذه الحياة... لا أدرك ما هو... ربما هو الإحساس بالغربة قد تمكن مني إلى أقصى حد فبت كإنسان عطش لكن لايتوق حتى إلى شرب قطرة من ماء.. ليس شعوري أنا وحدي أعلم أن الكثيرين مثلي هنا... أسخف ما يمكن قوله هو اقتراحات وتساؤلات ممكن أن يسألها من هو بعيد عن هذا والجواب يكون: لا يمكن أن تدركوا أو تفهموا أو تشعروا بأسباب أي مغترب.. لا يمكن فقط إنسانياً رغم تأرجح كفتي الميزان إلى حين لعينٍ تبصر وتراقب أقول لكم: إن الكفتين على كل واحدة منهما جمرة مشتعلة تحرق ماتحتها وتلسع أي يد تقترب..

ببساطة مطلقة... رغم كل الألق الظاهر... هو الموات فعلاً.. لست أبغي بهذا نشر أي طاقة سلبية لا والله لكن أريد أن أنزع تلك القشرة الواهية عن الحقيقة قشرة تخص بشكل خاص من عاشر الحرب والغربة معاً خلال هذه السنوات العشر حيث استحالة الشعور بأي انتماء.. قد يستغرب البعض حين يرى تقبل الغير تماماً للتماهي مع الوسط الجديد.. نعم يتقبله تماماً من رحب باقتلاع جذوره من هناك.. لكن صدقوني الموضوع نسبي أيضاً... كلما كانت سنوات تعايشنا بأرضنا الأم أكبر كلما بات من الصعب علينا هذا الفراق... أشبه هذا بالفطام القسري الصعب لطفل اعتاد ثدي أمه زمنا أطول من طفل أعانوه بالحليب الصناعي.. الأمر فعلاً هكذا عايشت هنا بالغربة كتّاباً وفنانين وأشخاصاً عاديين بأعمار تعدت سن الشباب والكل كان هذا شعورهم تماماً... فتور محزن تجاه كل شيء.

شرب فنجان القهوة الصباحي هنا... لا يمكن مطلقاً أن يكون هو ذاته كما كان في وطننا.

أشرب قهوتي هنا بآلية مفروضة علي... حتى عدة فناجين من قهوة الاسبريسو لا فازا، ولا أشعر بها أغادر بيتي إلى المقهى لأعود إلى احتسائها من جديد وأيضاً لا أشعر بأي لذة كما كنت أحس سابقاً.. أشتري بناً سوريا أعمل قهوة عربية وأيضاً لا أجد الإحساس ذاته... !

أشتاااااق شرفة بيتي وزهوري وجيراني وأصوات الأطفال تحت شرفتي ورائحة الأرض المنتعشة بالمطر وموسيقى حباته على إفريز الشرفة وشعوري بالنشوة وأنا أمد يدي وأقلب كفي لأحضن تلك القطرات وأبلل بها وجهي وأنا أضحك ملوحة لجارتي هنا بالقدوم إلي لنعاود شرب فناجين أخرى مشيرة إليها بدلة القهوة أنني بانتظارها سأعيد غلي قهوتنا... نشرب القهوة الآن... بلا رائحة عبر شاشات الموبايلات نجتمع تجمعنا رائحة الشوق والأسى..

المهم... صباح الخير

ذاهبة أنا الآن لاحتساء فنجان من القهوة السويدية.. بلاطعم.. بلا رائحة الوطن بلا رائحة العشق.

تناديني بالعمياء...

نضحك كلانا... تقول إنك أحسست بأن ثمة سرٌّ كامنٌ في عيني... وتعود لتقول: إنك علمت بأن النور معي لم يسقط من السماء بل أنا من أرسله من قلبي إليها، وبأنك كنت ذاك العابر للزمن وكنت حينها محلقا حين وجدت نفسك أسير ذاك النور... ما لم تدركه أنت... أنك من يومها هويت إلى حيث قاع قلبي لم أر بك إلا ذاك التماهي في شعاع النور الذي أتيتني معه... أم هل كنت أنت مني وأنا من أطلقك... لا أعلم

لا تفسر الأشياء... فقط دعها كما هي..

دعني لا أقترب... ودعك أنت ذاك الذي لا يبتعد .

أرجوك ..من جديد... لا تفسر الأشياء

لا أريد معرفة معانيها...

ولا أريد معرفة مسارها، ثمة شيء واحد فقط أعرفه...

"wobniar"

كانت أول خطوطه بداية الأبيض ذاك الوميض الذي رأيته يوماً، وفهمت سره رغم إغماضة العيون تلك...كنت أنا حينها أحاول تجميعه بداخلي أجمع كل الألوان التي غفت إلى حين إلى ما قبل الإبصار كنت أحاول جدلها بذاكرتي وأعيد حنيها من جديد لتعود كما كانت ذات يوم قوس قزح... لكنك كنت أنا ذاك المار المتربص للوميض رغم غرابة ثنائية التناقض أمسكت النور من حيث كان منبعه وكأنك قلبت اللوحة وخدعة النظر إلى الحقيقة فأعدت ترتيب الأشياء... أمسكت بالشعاع وتبعته كما لو أنك تتبع خيطاً منفلتاً من بكرة خيطان بكل ثقة لتعيد لفه من جديد عليها...

تتساءل... لكنك تجيب نفسك... قد عرفت بعمود الإشارات... ما لا تعرفه... أن الريح قاسية.. وأن ذاك العمود بإشاراته الخشبية بات يدور كما مراوح دون كيشوت... وأنه بدورانه السريع هذا عانق القوة النابذة فسحب معه قوس رينبو فاشتعلت الحياة بكل الألوان وتراقصت خطوطاً مع الأبيض وكان لكل لون شريك من العلامات الموسيقية السبع سبعة ألوان وسبعة شارات موسيقية دو ري مي فا... العالم سحر مجنون عالم من بعثرة لا أستطيع ضبطها وحدي... عالم يصطخب... لون وموسيقا.. وميض وعتمة في عيوني

تضحك وتناديني من جديد أيتها العمياء... أقترب منك وأحمل إليك هديتي أهديك نوري.. وأنت تعلم أين يقبع وتعلم ما هو غلافه...

هي مجرد ثرثرة لا تعني ما قد يفسره البعض هي ثرثرة روح لا أكثر...

تركت لك هديتي... هناك... فهلا أخذتها؟ ماضية أنا إلى حيث ذاك العمود من جديد... سأعيد تثبيته... الريـح قوية.

كل الذي أعرفه أنني أبذر حروفي في طريق عودتي إليك... كما حبات قمح أحلم بأنها قد تطال السماء وتداعب برؤوسها أطراف الغيوم .. أتخيلك تضحك كما دائماً وأنت تلف على أصابعك خصلة من شعري هامساً لي... طفلة لن تكبر..

أقول لك الآن أن تلك الطفلة هرمت حتى اجتاحها الهذيان.. ونسيت أن طيور الزمن... جائعة نهمة أبداً ترصد خطواتي وتتلقف مني.. حبيبات حروفي تلك قبل أن تصل إلى الأرض لوتعلم كم تصفعني بأجنحتها وبمناقيرها الحادة...

لكنني تلك العنيدة دائما أنا... مازال في جعبتي الكثير ..حروفي لا تنتهي... رغم أن الطريق إلى المدى بعيد بعيد... فمازلت أسير وأنثرها... سأسرع بخطاي أكثر... وأسابق الطيور تلك... لن تنتبه إلى بعض ما تهاوى بين الصخور وغرس فيها..كم هي رائعة تلك الأمور المستحيلة! أعشقها حين تزهر بثمار الممكن بلون الحقيقة كما لو أني أرمي بعيداً عني كل فساتيني الرزينة الأنيقة.

كما لو أني أنشرها على حبال الشمس غير آبهة بانطفاء ألوانها...

أختار فستاناً واحداً بسيطاً... بلا لون... سوى لون الحقيقة أرتديه فضفاضاً يعابث الريـح ويسائل المطر **بضعا** من ارتشاف فأتلون به وأتظاهر كما لو كان بلون الحبر السري... فأبدو حينها لك أنت وحدك... يا من تقرأني بقلبك... وتضحك ربما... سأمضي معك بثوبي هذا عبر حقول البوح... والفرح... سأثرثر كثيراً كما الطفلة وأحدثك عن جلوسي

فوق صخرة بلون الطحالب وبقربي فقمة لطيفة تحمل على رأسها مظلة من بنفسج وترقص... تحب اللون الليلكي... سيكون لها على أطرافها أجراس صغيرة تحملها ريشات بلون وردي تتمايل مع رأسها وأنا أصفق لها مقهقهة... قد أنزلق من صخرتي تلك وأهوي إليك في بحيرة من حبات ثلجية من برد له شكل اللؤلؤ بكل الألوان... قد دعوتك يوماً للسباحة ببحيرة

قد همستها للسماء أن تفعلها أن تسكب من خلال بوابات الغيم شلالاً من مطر لؤلؤي مثلج يجمع كل انعكاسات قوس قزح ويتخلله حبات ملونة كل واحدة بلون... لون لم يخلق بعد... ألوان أشاكس بها ألواني تلك التي على طاولتي... قد أغترف منها الكثير وأمضي مهرولة إلى لوحاتي البيضاء أنثرها عليها كما القبل... لا... بل قد ألتف بعدها بها لتطبع على جسدي كما الوشم الجميل وشم بألوان الخلق الجديد... هي ثرثرة نعم... لكنها عالمي... أدعوك له...

هل تتخيل معي صوت الموسيقى... ذاك الارتطام العذب لتلك الحبيبات وذاك الانزلاق لها من على صخرتي الطحلبية؟

ما أجمل أن أقتطع من العالم الجميل قضمة سكر... قضمة من سكر الكون أتذوقه جمالاً كما الارتشاف على مهل وإغماض العين قائلة الله... لو يعلم العالم معنى هذا العشق لله لانهمروا معي في تلك البحيرة... كما حبات المطر ليذوبوا تماهياً مع وحدة الوجود... لا لم أحِدْ عن مسار كلماتي... هي لي ولك هي هذا العشق الذي لاتفهمه في عطر الورد أن تعشق شذى العطر أكثر من الوردة ذاتها...

هو هذا.. هو هذا... هذا الصفاء إن كنت تدركه لهذا الصفاء.

في ذات يوم غائم أدرك أنك تحتاجني فيه.

أجيد الاجتياح بعذوبة... علك تدركها.

الراين... يتمطى بفتنة يلتف ويدور عبر سهوب ومدن... تشعر به كثيفاً عميقاً به غور لا تستطيع إدراكه... هذا النهر بالذات كأن به خصوصية تشدني وتربكني... أشعر بغموضه وتماديه بغضبه لم تظهر الصورة كم هو قريب على ملامسة خطواتنا، وكأنه يريد سحبي بدعوة شرسة متجاوزاً حدود رصيف الكورنيش بوقاحة لذيذة ليتجول بأمواجه معانقاً جذوع الأشجار مراقصاً أعمدة الإنارة مرافقاً إياها بجشاشة أصوات أشبه ما تكون لمايسترو الحب بيري وايت... هنا بكوبلنز... أراه اليوم قد انحسر من جديد وعاد بلهاث عاشق بصورة شبّورة تتنهد على سطحه بضبابية حالمة، تمسح مسامنا برطوبة قبل دافئة تتغلغل حتى العنق فأشعر معها كأني أستجمع كياني من جديد كما بدء الخليقة في الأساطير تتوحد ذرات جسدي ما بين ماء وهواء وتراب ونار... ربما كنت قد فقدت ذاتي وتدعوني الآن لاستردادها... النار.. أشعر بها هنا تماماً بداخلي... يحرقني غضبي ألمي.. تشتتي.. والتراب؟ أتأمل مسامي وأخاديد تبدأ بغزوي.. كما أرض يباس غفا عنها المطر... الراين... وكأنه عذوبة أغنية يحتار بها أصم..

أسير وأسير فتخرج أمامي مجموعات مرحة بأشكال تنكرية كرنفالية مبهجة تراقص الحياة بفرح مابين مهرج وملاك وقرصان وغجرية.. قبعات وريش والكثير من الزماميز... تشدني الألوان الفوسفورية والجوارب الشبكية الوردية والأفخاذ الفارعة الطول للشابات... حسناوات تستدير الرؤوس لهنّ .. أضحك وأنا أرثي خيبات أمل شبابنا لم تعد الأمور كما كانت من قبل فالأوروبيات لم تعدن تأبهن بهم وأصبح هذا الآن من الصعوبة بمكان. هذه الهجرة وهذا الاغتراب قد قدمنا بصورة مرثية هزيلة للأسف... يتعالى صوت النوارس.. يختلط مع صوت الضحكات.. والأغاني الألمانية.. لا أعلم لم بدأت أدندن لولو بلولو سنة حبيبي... لم يحدث لي يوماً أن دندنت بها ربما كنت فقط أطرب لصباح فخري لكن لم هذه الأغنية الآن بالذات.... ربما أغنيها بدلاً عن شبابنا ببساطتهم وطيبتهم...

آه يا أبناء بلادي الطيبين كم أحبكم أود لو أفرد ذراعي لأحضنكم بأمومة العالم كلها وأطبطب عليكم أمسح عن أعينكم دموع شقائكم وخيبات آمالكم... شيء من الدفء يلامس أذني... شعاع من شمس... يتغلغل بين عري الأغصان ويمتد مداعباً إياي بشغب... أبتسم... بفتور ربما... لم تعد تغويني هذه المراضاة الآنية من السماء كما من قبل.. ربما حتى هذه السماء بحاجة لبذل المزيد من الجهد معي لنعود أصدقاء كما كنا.. أرمي على النهر ما بيدي من الفتات أرقب الطيور تنقض عليها.. أبتسم... أمضي.

يرحل الشغف على قارب يطفو متجاوزاً خمورك... ربما تتكسر على حوافه أسئلة تجمدت على شفاه اليقين...

قد قلتها يوماً أنا.. سيكون الملل

وأردفتها أنت.. بأن اللعبة انتهت...

المضحك... أنها ما ابتدأت بعد... هو الانسحاب خوفاً من الإدمان... وربما الفشل...

قد سفحت خمورك لتغرق وحدتي بالتساؤل... وماذا بعد..؟!

كلانا يدرك... أنه ما من بعد إنما هو البعد والاستحالة في صخب اللامكان، في صخب اللامكان تحوم طيور الدهشة تصخب بأجنحة التساؤل قريباً جداً من أنينك أيها الإنسان.

تدور أنت بحيرة تبحث عن جدار من فراغ تستند إليه مردداً :

ليست تلك بالحقيقة

لكنها... الحقيقة...

تريد أن تشعر بأن هذا كله وهم... لذا تبحث عن جدار التلاشي... علك تتأكد فعلاً أنه ما هو إلا مجرد وهم

ولكن حتى الفراغ... يقهقه، بل يسورك كما الحقيقة... يلتف حولك كعناق الفلامنغو... ساخراً من ترهاتك... من كل اعتقاداتك... من كل ما قد سبق وإن كان يقيناً لديك... ومن بعيد... تحضر... تأتيك تلك التي اسمها الحياة... حسناء مختالة متراقصة كما اللهب... تتراشقك كما الشرر... تمد إليك ذراعيها بدعوة للالتحام... فموسيقاها تغمرك بالنشوة وتصقلك يداها وتعيد تشكيلك مرات ومرات... بل ربما آلاف المرات... فما أنت إن تذكر سوى مخلوق من طين...

تشكلك وتصقلك وتعيد تشكيلك ما شاء لها... لكنها لن تكون لك عاشقة... فلست أنت جالاتيا وليست هي ببيجماليون

لن تعشقك... بل يحلو لها أن تغير بكما تشاء .

تنحتك بأناقة ماكرة... تتناوب يداها على سحقك ومن ثم ترميمك... قفازاها أحدهما أبيض والآخر أسود... بكل لمسة من قفازها الأبيض تضيف معنى جديداً لملامحك... ربما رحمة، عطاء، محبة، عدل.. وبالأسود تضيف معان أخرى هنا قسوة.. استعباد.. قلق.. ألم..

بنهاية الأمر... هي فنانة... بشكل أو بآخر.. هي ربة للخلق تهوى لعبة الأضداد على ملامح السكينة..

ستشكلك كما تهوى.. هي لا أنت. تريد أن تجمع بملامحك خلاصة الخلق كله...

المهم... أن هذا كله يجري على مسرح الوجود... وسط تهليلات وصيحات... و... و .. و ..

لكن ؟... المضحك أن كل هؤلاء... هم مجرد كتل تنتظر دورها... في عملية التشكيل هذه...

مهما حاولت أن تستند إلى أي جدار من وهم... تتلقفك الحقيقة.

بكل الأحوال... هي لعبة شيقة...

لعبة الحياة، كما و قشرة لؤلؤ...

وأنا... لا أحتاج قشور اللؤلؤ .

في المحار النقي لؤلؤه الصافي... لا يقشر

ليس لقداسة الصدق قشور... قد تنزلق الحقيقة... ملساء لها عذوبتها

لكن للأسماك ايضا انزلاقها ..حراشفها... تجرح... فاحذر

السمكة كاذبة مراوغة تراقص الماء هاربة خلف فقاعاتها... وما أكثر فقاعات السمك .!!

وما أكثر قشور اللؤلؤ !!

وراء خط من ظل أسود.. كانت تبدو عين واحدة

تحتسي النور.. ومع هذا تحدق...

أسأله عن... الأخرى...

يجيبني.. أغمضتها... أغمضتها

أخشى من ذاك النور أن يلتهم حدقتها وتفترسها

الحقيقة...

طبشور.... ذرات من حلم جميل

طبشور ملون... وممسحة... وسبورة...

كم تهادت على أناملنا ذرات بيضاء تعانق نقاء الطفولة

كم تسابقنا لنمسح آثار كتابة سابقة على جدار أسود لننال حظوة عند مدرس أو مدرسة..

واللون الأحمر تراقص كفراشات أو علامات موسيقية مابين الفتحة أو الضمة أو الكسرة أو حلقة السكون والشدة كم تمايلت بانحناءات جميلة....

علب الطبشور... كم تراقصت سوقه بها وتراطمت في جيوبنا... قبل أن تمتد بها أيادينا الطفلة إلى المعلمة

طبشور أبيض ورحلة اللون على السبورة... كم رسمت عليها شغبي وحلمي في الفرصة... كنت أنهال على سبورتي بشغفي وألتحم بها في حكايا لا تنتهي... صندوق الدنيا... كانت بالنسبة لي مساحات لا تنتهي... وذاك الحوار أحمل ذراته بأصابعي أداعب به وجنات صويحباتي **بضع** من أبيض على هذه... كفتيات الجيشا تبدو حينها وهي تشد على أجفانها بتقطيبات مضحكة وبعض من أحمر على أرنبة أنف الأخرى وأعلى خديها.. لتبدو كمهرج أحمق... ونتراكض على المقاعد بحمى راقصة وأصوات تصدح بأغاني ذاك الزمن...

هو عرس الحوار الأبيض... وقطرات المطر تلسع النوافذ بالقبل... ليسود صمت مفاجئ بدخول مدرسة الفتوة المتشددة أو لنفاجأ بعمامة أستاذ الديانة... فنغوص في مقاعدنا مع إحساسنا بالذنب...!

طبشور أبيض... ونقاء

طبشور... كم سهل ما كان يكتبه... وكم صعب ما حفره في قلوبنا من ذكريات صعبة.

أنا... أنت... الزمن... ومحور واحد

أو تسأل!؟

يكفينا أن نلتقي... كعقربي الساعة ندور وندور

ونلتقي اثنتي عشرة مرة في كل دورة

نتطابق في رقصة زمن...

أنا... أنت... الزمن.

ثرثرة ما فتئت تتراقص على شفاهي... وأنت؟

تغازل صمتك المعهود... تجالسه.

تخادعني حروفي... خجلى... تغادر... تعود إلى داخلي...

ما بين صمتك... وبوحي... رحلة كبرياء

لو.. فقط بـ لو ...

لكانت تغيرت أمور كثيرة..

لربما كنا استطعنا المضي...

لما كنا نتساءل الآن

لما كنا ترددنا... من يبدأ؟كيف نبدأ...؟

لست أنا وحدي... ولستَ أنت وحدك

كل إنسان مرتبط بهذه ال "لو"

لو.. هي ذاك الظل الآخر... ذاك الظل الخفي الذي لايراه... إلا صاحب هذا التمني وهذا الافتراض

في وحدته فقط... وحين يسقط عليه نور الحقيقة في زمن معرفة الذات

يتفرع ظله إلى ظلين اثنين... متباعدين تماماً... وملتصقين أبداً... في نقطة واحدة هي شخصه... ما يراه الآخرون من ظل... وما يحب هو أن

يراه هو فيما كان سيكون...

لو أنك تقرؤني الآن يا... أنت... لفهمتني تماماً

لو أنك أردت... أن تفهم.

ليس بالكائن الكتيم

لا يوجد الإنسان ككائن كتيم... سرعان ما تتسرب أحداث الحياة كذرات بين مسام روحه وجودا...

الكل عرضة للتفاعلات مع ما تقدمه الحياة... هي الشوائب الوجودية لكن... ربما للزمن فعل تلك المعادلات الكيميائية فيحدث تغييراً هنا وآخر هنالك... بكل الأحوال... لا تبقى كتلتنا كتواجد حقيقي بمدار ذاك الفلك الذي اسمه الواقع... قد يصقل هنا ويقتنص من هناك وما كل ما هو هنا أو هناك إلا نحن... الكائن ذاته... هذه البعثرة الكونية التي لها شكل أضمومة من شتى أنواع الأفكار والمشاعر والانفعالات... ويبقى هو الكائن الأجمل في دائرة الغرابة الوجودية .

بلون القرميد

باقة من ثواني... طويلة بسوقها... تتشعب وتتجذر حتى تراقص أطراف أعصابي... فأنبض بها صخباً..ألماً... فرحاً..

حاولت اقتطافها أحبها حية عطرة...

لست أحب الأزهار المجففة.. تحزنني...

فلترو ثوانيَّ بوجودك... تهمو كما الطلّ الجميل فتنجب لي فرحي.

ستزهر زمناً ورديا

هل أدركت يوماً ذاك الزمن الوردي؟

هو سري أنا... لن أبوح به... مفتاحه... حضورك...

لا تحملق بعيوني... أثمر حمرة على وجناتي... ويحلو لك قطفها... فأهرب بتمتمة ارتباك خجولة...

لمعة في عيني؟ لا شيء فقط هي رموشي تغتسل بالانتظار... نقاء وصفاء...

اللون اليوم... هو لون البارحة، لون القرميد.. أحسب أنك تحب القرميد...

ذاك الاحتراق الجميل...

في الروح بعض منه... قرميد دافئ يتسلقني ويحبسني مع يمام أبيض... كما كوات البيوت القديمة تسكنها حميمية الهديل

صدقني... كما اليمامة أنا... خاشعة على بوابة غار... أهدل... همسي... وينبت لي جناحان أبيضان أفردهما وأحلق إليك... أدور وأدور... هناك... حيث للمدى جدار من بلور يلف العالم، بلا ريب... حيث صوت ندائي عاجز عن الوصول إليك... أدور وأدور كدوامة ماء وأنت حصاتي المقدسة، تنغرس بقاع روحي أكثر فأكثر...

ولا ألبث أن أعود... محملة بطيفك وأطمئن... ما بين هنا وهناك...

يا "لهنا" و "هناك" !!....أصمت أخفض جناحي...

يقولون إن الطيور تنام وهي تطير... سآخذ إغفاءتي من الزمن... وأنا عائدة من رحلتي إليك ... ما زلت أحلق... بل علي أن أحلق... فالتحليق هو دائماً باتجاه الأبعد والأسمى والأكثر صفاء...

بلون القطيفة الزرقاء

كنت اليوم أجمل هدية لي

أعود معك من جديد إلى الألوان كما اتفاقنا... لكل يوم من أيامنا لونه... اليوم كان شبيها بالقطيفة الزرقاء velvet blue تضحك وأضحك معك هو هكذا يوم بلون وملمس القطيفة الزرقاء... ظهورك اليوم كان عذباً رقيقاً.

أحسست بوجودك كانسياب وتغلغل ملمس المخمل على وجنتي وجدار روحي.. بل صدقني أحسست حتى بالدغدغة من خلال مداعبة ضحكتك لارتجاف صوتي... لا أعلم كيف بلحظة واحدة تتماهى المعاني ضمن الأحاسيس... كنت أنقل نظراتي الفرحة بك بين عينيك وغرابة لونهما وبين قميصك الأزرق وكأنك كنت تعلم أنني أردت أن أراك به اليوم لكن لم أحسب أنك ستفاجئني... وتقول لا تريده يوماً بدوني ويهمس لك صمتي أعلم... صدقني أعلم هذا أشعر بهذا ولا أعلم معك لماذا لا أكون سريعة بالهرب كالسمكة سأقولها بصوت عال

أنا سعيدة اليوم... هو الفرح لأنك وجدتَ

ولألعب قليلاً لأداعبك بالحروف والكلمات سأقول لك بأني وجدت بل ربما إني بك واجدة... أتخيلك كما عودتني فاتحاً عينيك بتساؤل فأتمتم لك بحركة من شفاهي.. بعض من عبثي الطفولي.. آه لو أنك تدري ما أقول تضحكني يا أنت حين تقترب بأذنك من الشاشة وتقول لا أسمعك وأتبعك بالبلاهة الطفولية عينها فأقترب بشفاهي من الشاشة ذاتها إلى أذنك وأهمس لك بما لن تسمعه مني... يا للحماقة الجميلة... تفصلنا شاشة و... والكثير من كل شيء تقول أنك تشعر بدغدغة صوتي بأذنك وأقول أشعر باحتكاك شفتي على جانب لحيتك... أمدّ يدي إلى جبينك أمسح بعض حبات من العرق... يدي باردة... تقول لي مداعباً يدك باردة أجيبك وأنا ما أزال أمرر بيدي على سطح الشاشة ألتقط منها قطرة عرق تراقصت على طرف رموشك... هو فرق الأمكنة!

نسيت أن أقول لك أنني كدت أطلب منك أن أرتشف معك قهوتك

أضحك الآن وأنا أتخيلك تقرب فنجانك من شفتي... بكل بساطة ستحظى هذه الشاشة بقبلتي..

اليوم... كان بلون القطيفة الزرقاء وبرائحة القهوة كان يوماً يسبح بلون أساور الدخان التي كنت تنفثها فأتماهى بصغري وأدور بها محلقة في دوائرها أراقصها كراقصة تتزلج على الجليد وبيدها شريط طويل من ساتان أبيض تتلوى مع ثنياته كنت ألتف وأدور مع حلقات دخانك لأحط بعبث جميل تارة على طرف عنقك وتارة بين أصابعك... أتكوم على نفسي وأحاول أن أغوص برائحة دخان وعطر وقهوة.. هل قلت لك أنني ..

هل قلت لي أنك... لا يهم صدقني لا يهم ما أكثر ما قيل ولم يكن حقيقياً.. الذي نعرفه كلانا... أن ثمة حقيقة بسيطة صادقة واحدة

إنه الفرح ..

قليل من الشمس في المياه الباردة.. تدفئ روحي بعيداً عن النفاق.

تحت سماء كوبلنز

هي بعض من تداعيات... في زمن مرصود

وأقول بعض... لأن هنالك ما يهمش دائماً في دوائر الكل... والسؤال هل للدائرة هوامش؟!

نعم... دائرة الحقيقة أطرافها... ظلال هوامش... تقتص وترمى بعيداً... لتسبح في فلك المجهول... كما في دائرة المعارف... ما يقدم لنا هو قطعاً غير تلك الحواف المثنية التي تغلق بالأختام الحمراء بأوامر من توقيع باللون الأخضر.. تعلمون على ما أظن معنى لون الحبر الأخضر في التوقيعات الرسمية.

صعب أن تحمل معك كل هذا الضجيج في رأسك كل هذا الازدحام... وفوضى الأضواء والظلال.. تقاطعات الحاضر والماضي.. صعب.. جداً أن تتسمر أمام كاميرا في لحظة يتابع فيها الزمن هرولته العجيبة. سماء زرقاء في يوم شتوي حالة غريبة لسكون تقاطعه أصوات صفارات الحرب مع هدير الطيارات في الحرب العالمية...

ربما الحال مازال ذاته مع تغيير في نوع الطائرات... والمواقع الجيولوجية.. والتنقلات الديموغرافية التي انتشرت بصورة مختلفة على تلك الخارطة التي كانت تغطي طاولة هتلر إبان استعداداته التكنيكية.. الطاولة الآن أصبحت طاولات وضحكة إيفا براون استبدلت بضحكات لكوبلات عديدة موزعة على طاولات التكتيك الحربي... كوبلات... نعم كوبلات مثل برنامج

فهذا عصر التحالفات... ثنائيات... أو رباعيات لا يهم... فالسماء بها متسع لرقص الطائرات واستعراضات البطولة.... حدث ولا حرج

ايه فيفا زاباتا... التهليلات... لا بد منها... أما عن أسراب النمل... أعلم أن التسمية خاطئة... لكن هو هكذا... ديموغرافيا بصورة أسراب نمل أصبحت تطير كالأرواح لخفتها...

صديقي... ما من جاذبية أرضية تشدها... لا تصدق هذا... بف.. أو ليكن... بيف باف حتى لايهم...

يتحلقون حول طاولاتهم بلعبة سباق جديدة... ينفخون.... وتتطاير أسراب النمل... (البشري) وتتغير الأمكنة... وتسجل الأهداف... يتعالى رنين ضحكاتهم... ورنين كؤوس أنخاب الفوز...

بلياردو... من نوع آخر...

فقط... لأنهم قالوا لي... هنا كان هتلر يوماً

نمط أبنية كان سائداً حينها... لا أستطيع أن أفهم كيف لهم أن يدركوا... أنها مازالت دائرة حتى الآن... تلك الحرب... تمارس رقصة النار وترمي بأثوابها واحداً بعد الآخر كما سالومي... لتبقى عارية... علنا... علهم... حينها يرونها... ربما إن لم تشتعل حتى الظلال... فلن يدركوها..

تقول...وأقول

ما بين الدقيقة... والستين

تشعرني أنني حية... يكفيني هذا...

تقول إنني بت الفجر في يومك أبزغ في نهاية ليلك... فأبدأ بصقل أشعة روحي لتصل إلى أطراف روحك..

تقول إنك تدور في حلقة يومك تدور وتدور لتستكين أمام ثغرة من نور أدعوك إليها بحضوري...

وأقول لك أنني ومن بعيد لا أفارق حلقتك تلك.. بل أجدني أتسرب فيها ما بين مسام الزمان والمكان... لأدور معك بالهيولى نفسها...

أسألك عنك... تسألني عني

يا سيد البساطة والوضوح... أشعر بخدر الاكتفاء بك

لم تعد تهمني الأشياء...

في جملة قد قلتها.. في دعوة سبقتني إليها صدقني أنت تربت على ارتجافي..

نعم فأنا بك أستكين وأهدأ.

لم أعلم حينها إذ طال صمتي وأنت تقولها... كل ما أعرفه أن ذاك المصباح الذي كان خلفي... أصبح نوره شعلة للمكان... لم أعد أميز الأشياء من بريقها... أصبح كل شيء أبيضاً براقاً للغاية.. حتى المقعد الذي كنت جالسة عليه ماعدت أشعر بصلابته بل... وكأنني ارتفعت على أكف من غمام... لا تسألني كيف... ببساطة.. لا أعلم.

حين ملأت عيناك أفق سلامي... من بعيد بعيد... اختصاراً لكل الوجود...

خبرني بالله عليك كيف لعينين أن تصبحا عالماً كاملاً؟ كنت قادرة تماماً على أن أتسلق طرف رمش على زاوية من جفونك لأصل إلى ذاك الجزء من جفنك وأمسح عليه بلطف وأستلقي... أتماهى في الصغر كذرة بوح صغيرة... وأحلق بخفة ريشة لأتهادى على طرف من روحك... لا أكثر.

تقول إن ثوبي اليوم كلوحاتي... أجيب ارتديت ذاتي من جديد... معك لوحاتي هي أنا... غاب عني الأسود الذي كنت تحبه بي تركته فقط لشعري الذي تحبه..

ووعدتك بلون لكل يوم والبارحة كان فيه كل ألواني... صدقني ما كنت أرتديه البارحة كان اللون الأبيض... لكن زحفت الألوان إلي وإلى ثوبي بغيرة منك.. زحفت إلي تسلقتني.. فقد هجرتها لأنني اكتفيت بك

تلون لي روحي... فألون لك حياتك...

إلى الغد... سفر الروح على ذاك الطريق السريع... لكن أخشى علينا... فاحذر... أقول لك إنني بتُّ تلك اليمامة البيضاء أو ذاك النورس العابر للبحر... أحلق إليك... فأخشى ارتطام جناحي بزجاج سيارتك... أطير إليك غافية... فكن يقظتي يا أنت.

إليك... ذات يوم من زمن يغرق

اخترت له الغرق نعم فاعذرني... هناك حيث الأزرق يجاور المدى كما التصالب... على الأقل كما نحن... عن بعد خطين ما عرفا الالتقاء بعد... رغم الانتظار .. وأتساءل إلى متى يبقى الانتظار؟

أتعلم شيئاً؟ كقطارين نحن... لن أقول خطين متوازيين لا... بل نمضي كلانا كقطارين نتجاور بالسكة ذاتها... مضحك هذا... لكن نعم نتجاور... رغم الاستحالة نمضي كلانا أرانا نمضي نسبر دخاناً وغباراً وأمطاراً... وقليلاً من الشمس... أبصرك وتبصرني بلا صمت... بل بكل الضجيج... أسمعه بكلينا

جريئة أكثر أنا..!؟ ربما... لكني أعلم أننا في زمن اللعنة حيث ماعاد من موجب للصمت... كنت أهمسك وأدعوك لتصرخني... ماعاد الآن من فرق ما بين الهمس أو الصراخ... كلاهما إعلان... دعنا... لا نجعله عقيماً

اعذرني لم أكتبه على دفترنا... مازال الدفتر تحت وسادتي... ومازال اللون... لوننا... كنت أمسك بالدفتر طويلاً وأحدثه بالكثير .. وأخشى أن أكتب... كتبتُ نعم.. لكنني مازلت أخشاه هذا الدفتر... واليوم أكثر من أي وقت مضى

أعلم أنه لن يصلك... إلا إن طالبت أنت به... إن طالبتهم... لا أحد يعلم أنه أنت المقصود به...

تجيد أنت قراءتي... تحديداً... أنت .. يا أنت

رغم السكون والغيوم إلا أن آلاف من أسراب الطيور ظهرت بغتة الآن محلقة فوق سماء ستوكهولم... أستغرب... هي الدهشة الجميلة المشوبة بحزن... ربما تراها مغادرة إليك... لا أعلم أين تحديداً... لكن هي لديها القدرة على التحليق

هل استطعنا يوماً أن نحلق فعلاً؟ لا أعلم... ربما كان ذاك التحليق الذي لم يكتمل... أحتاج جناحاً آخر... وجناحي بعيد بعيد... ربما تضحك أنت الآن لو رأيتني أستدير فعلاً وأنا أتلمس كتفي.. أمرر بيدي على كتفي أتلمس ريشاً من لون لم يخلق بعد... كنت أرجو تلوينه بوجودك...

أنت لا تعلم أن لحضورك انعكاس على روحي... فمابالك على جناحي... ستتلون بأنفاسك كل ريشة منه... بلون لم يخلق بعد... دعك من درجات اللون... نغيرها كلانا... صدقني لن تكون مجرد درجات لونية.. ههه سنختبئ تحتها بين لون وآخر وننبثق من جديد كما صرخة الوليد... في المرة الأولى سيكون عالمنا العجيب أناديك إلي... مابين لون ولون ومابين ريشة فأخرى... ومابين.. المسام... إن تدرك ما معنى الاختلاء بالمسام... ذاك الحضور الجميل... كما بوابات النور... لنكن حراس النور لو شئت... لن ندع أيدي الظلمة تطاله...

شجرة لوز مزهرة... بها أنت... ثمة لون منك... تعرفه أنت أنني أحبه... أراها بطريقي الآن شجرة قد أزهرت وتحت جذعها بقايا من جليد ليلة سابقة...

قد أزهر الجليد ..هل تعلم ؟... أزهر الجليد انتظاراً... وافتر ثغر الشجر قبلات من زهر اللوز... .ما أروعه !

حمقاء أنا... ؟ ليكن... أحتاج قبلة... من زهر لوز أقترب أتمطى .. أمسك بغصن من هاته الشجرة أقربه بأزهاره على وجنتي وأنحني به... على شفتي... مازالت بقايا من قطرات المطر تسبح على أجزائه ..أضحك بشغب وشقاوة وأفلت الغصن بسرعة من يدي فتتناثر حبيبات المطر على وجهي وكفي وعنقي ومعطفي... يا للجذل... كما لقبل المسافر البعيد

تلثم الروح... .مازال القطار بعيداً... والمدى أبعد فأبعد

وأنتظر... صوتاً... حرفاً... نجمة... شعاعاً... نوراً .. صفاءً.

يحضرني قلق ما.. بالغياب لا أعود أنا

بل يحضرني القلق، بل وخوف صامت أصغي فيه فقط إلى نبض أعصاب أطرافي... أرتعش كما التمتمة المذعورة الهاربة من شفاه الارتباك... أقلق... نعم أقلق جداً وأضيق بأنفاسي أشعر بأني أسير على سلك من حرير معلق بين الجبال وأن علي أن أسير متوازنة دون أن أنظر إلى أسفل... لا يهمني سوى أن أعلم أن الأمور بخير.. بعيد وبخير.

عيناي من غمام ثقيل مسافر تحده أشرعة رموشي.. تلتقط دموعي... يسمعون صوتي يصغون إلى حديثي وإلى ضحكاتي، وأنا الوحيدة التي لا أعلم كيف لي أن أستحضر الصوت والإجابات والضحكات وكأنني بروحي خيط منفلت من نسيج انسلَّ بعيداً عني.

خائفة من شيء ما.. لا أعرف ما هو...

خائفة إلى حدود الذعر والانزواء...

صندوق أسود بعدة أركان مقفلة...

صندوق أسود... بركن منه جمعت عدة مفاتيح وأغلقت عليها.

صندوق أسود ومسنن... أسجن به قلقي... ومع هذا يتسرب كبخار في مرجل... صعب جداً أن لا أشعر بوهج احتراق في أحداقي... ربما لو كانت لسعة من نور لكانت القدرة على احتمالها أكبر... شتان ما بين نار ونور.

ومع الوقت تدرك أن الرحيل... لا يكون بالموت فقط... بل بتكرار الألم الذي تخلفه المواقف... بعدم القدرة على التحمل... بافتقادك للتماسك بعد تصدعك من الداخل لمئات المرات إلى حد السحق والتلاشي... تدرك أن الصبر غباء..

وأنك مشبع بالحزن إلى حدود الاكتفاء فالانكفاء.

تدرك أن السهد ليس هو الزهد بل طريقك إليه..

حين تدرك...

وقد آن لك أن تدرك فلطالما تجالدت على ذاتك ورفضت كمون هذا الإدراك...

أن تفهم ياهذا... أن تفهم..

أن التفهم والاحتواء.. قد يكون أقسى بكثير من أن يتحمله جلدك ذاته... فتبدأ أنت بالتمزق... ليس كأفعى بل كجلد بلاستيكي قاس جداً.. يغلف زجاج روحك التي تتشظى في كل مرة تصدم فيها بجدار الجحود لتغوص أكثر فأكثر إلى الداخل.. فتؤلم وتؤلم.

مابعد الانشراخ.. هو هذا التفتت... حتى حدود المسام والخلايا...

تؤلمك روحك... فاصرخ أكثر فأكثر... ألا تبّاً لصمتك..
أن تتدحرج كتلك الكرة لا يعني أنك لا تتمزق...
نخادع... نعم ..نحن نخادع الزمن.
قد كان سكناها على ذاك الرف... وهوت..!
ساعتي الرملية... رفيقة وجودي... وظلي.
يا لرميلاتها !...عبثا أجمعها.
لطالما تسارعت متلاحقة... لتنسكب على قاع الزجاجة
تقلب من جديد... وتعيد الامتلاء.
تتناوب مع الفراغ.. في رقصة يخطو بها عاشقان
هكذا هي.. رميلات... وفراغ ..
خطوات تتقارب تتباعد... يد تهصر الخصر...
وعنق زجاج يخنق بالاحتضان... تك تك تك ... اضحك إن
شئْت... أسمعها تلك اللاهمسات.. أجيد الإصغاء
أنا.. حين أعشق..
نعم حين أعشق زمناً.. فأنا أجيد الإصغاء.. لا أدري
قد يكون هو صوت نبضي... ربما...
قد يكون عشقي لزمن ساد فيه رجلي أو طفلي
أو ترانيم طفولة أولادي... قد وقد... وقد... فأنا
كما قلت أجيد العشق ولا أعلنه.
وأشغف بالحنين أيضاً... لقطرات مطر...
لنقرات على باب...لدموع شمعة... لدعاء أمي
يا للشغف !!كم هو جميل شغفنا ..!
أنحني أرضا ألثمها... تلك الرميلات.. تعلق بأطراف
شفتي... حسناً أعرف أن لها طعم الملوحة...

أو قد أكون أنا من نكهها بذاك الطعم... بعضها
رطب ويلتمع؟.... نعم هي أنا من نكهها بالملوحة
بلا ريب.
أستلقي أرضاً... أفرد ذراعي.. أداعبها بوجنتي
لطالما أحببت أن أصادق الزمن... فليكن.. حبيباته
تجرح... تخدش..؟ لا يهم... ليست هي ما أريد
تلك هي حبيبات أخرى... أحاول تجميعها من جديد.
أبحث عن بريق لبعضها...
أبحث عن دفئها... لطالما أحببت الدوائر... أجمعها
بدائرة... أبدأ البحث.. والاصطفاء.
فيها سنيني.. وأغلى لحظاتي الحلوة.
فيها صرخاتي... وصمتي ..
لكنها أبتني.. نعم أبت أن تقربني والساعة من جديد
إن كنت أجيد العشق.. فهي تجيد الهرب.
تناثرت وحطت على أطراف ستارة دفعتها مصاريع
نافذتي.. تلك الخائنة.. ناشدها الهواء للهرب..
تابعت رقصتها الأخيرة بحركة وداع دائرية مغيظة
إياي بشقاوة... عانقت الهواء وببساطة... غادرتني .
أضحك ساخرة منها... ماكرة أنا... !!
لم تعلم أنني اختلست منها... أحلاها تنشقتها ..فجرت
بداخلي وسكنتني بأوردتي .

نهاية القسم الثاني

الفهرس

القسم الأول

المقدمة 7

الضفيرة 19

إن تلثم 20

يا عاشقاً 22

وتسأل ؟ 24

في العاشرة 26

أتعيدها؟ 28

لا تختفِ 30

وانطلقنا 32

صفا 34

أمومة 36

برد وقطاري والمطر 38

فنجان قهوة 40

ست حروف 42
عشرون عاماً 44
اخذرني 46
استهلني ابتهالاً 48
لعينيك أنت 49
تسامرني بورودك 50
قد غبت يا ورد 52
إنْ تغمض الجفن 53
وكم رفرف الفراش 54
لفافة 55
امض بي 56
أدركني 57
وإن بشوق 58
أمازح اللون 59
مرآة 61
وإن غبتم غبنا 65
أيمم الصوب 67

قد كان صمت 68
دائرة 69
انتظر 70
رينبو 71
إياها والقمر 73
وغدوت جليساً 75
هي الشفاه 77
شيخ الهوى 79
حمرة الجمر 81
تلك الوريقات 82
ماهكذا طبع الغواني 83
تعاتبني 84
هات يدك 86
مشاكسة خطوط النور تلك 89
هو الجوع 92
كالأرانب 94
لن أهاجر 95

أبا ايفانكا 101
ابتهالات رمضانية 104
أفض علينا رحمة والطف بنا 105
وقد شاؤوا 107
صرخة الروح (في حصار غزة) 109
أسألك قبل أو بعد 110
إليك فلسطين 112
ما بال الأنام 114
هاك خيطاً ليدك 115
ابتهالات 116
وآه يا وطن 118
المزامير 119
بين هيروديا وسالومي 120
مابين فتق ورتق 123
ما للعروبة 128
هوان 129
الأقصى 131
مابين الأخضر والأزرق 133

القسم الثاني

نثيرات 135

أنا... أنت واللون الأحمر 137

اخترت أن 139

نقطة من نور 149

ارقص مع الكون... ليس لكَ سواه 155

صَدَفَة 159

بابلو...وأنا 167

من ناقدتي 171

يصطاد....!! 173

بوصلة عمياء 175

فستق حلبي 197

أحزان عصرية 201

خطى... تكات ساعة 205

صندوق أسود 211

دعوة إلى أيوب 215

اختناق 221
أطفئ سيجارتي 225
ما بين الشك واليقين 227
عطر الروح 231
عطرها 233
معطفي الأخضر 235
كنزات صوفية 237
رائحة القهوة 241
تحت سماء كوبلنز 257